الجزء الثاني

مدار الغرباء

الحِمل الثّقِيل

مدار الغرباء (الحمل الثقيل)٢

تأليف: يوسف المستوري

غلاف: ريم حسين

تدقيق: وليد طارق

تنسيق: مريم محمد سيد

الطبعة: الأولى

المقاس: 14 x 20

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٤٨٤٩

الترقيم الدولي: 978-977-6974-36-4

بالتعاون مع دار المصرية السودانية الإماراتية

المدير العام:

حسن محمد حسن

الناشر: دار الكتابة تجمعنا للنشر والتوزيع

المقر: الاسكندرية - صلاح الدين ش ٨ الهدى

رقم الهاتف: 01066476589

فيسبوك: https://www.facebook.com/Wriiiter/

البريد الإلكتروني: elketabategmna@gmail.com

مدار الغرباء 2

الحِمْلُ الثّقِيل

يوسف المستوري

يابانجي

إهداء

إلى هؤلاء الذين أعياهم الفقد..
إلى هؤلاء الذين يقفون أمام كل وجع..
يتأملون في صمت.. ويتساءلون.. لماذا نحن؟
عن الذين التهم الوجع تفاصيل أرواحهم..
الذين يرون الطريق أمامهم مظلما من شدة الألم..
الذين يبحثون عن ومضة أمل.. عن لمسة حب..
إلى كل هؤلاء الصامتين..
الذين يحضنون أوجاعهم في صمت..
الذين يحملون حملا ثقيلا فوق عاتقهم..
ويخبرون الجميع.. أنهم بخير..
إلى هؤلاء الغرباء..
الذين يعبرون جسر الحياة وهم مثقلون باليأس..
ولا ينسون آلامهم أبدا.

"أنا غريب عن أهلي وخلاني..

أنا غريب عن نفسي..

أنا غريب عن جسدي..

أنا غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسي".[1]

[1] جبران خليل جبران

جلسة يابانجي

مرحبا بك مجددا أيها الغريب..
كيف صرت؟.. كيف صارت روحك؟
كيف حال قلبك بعد كل الاهتزازات التي طالت نبضك؟
كيف حال غربتك؟
هل ما زلت تحس نفسك غريبا بين الأقربين؟.. غريبا وسط زحام هذه الأرض؟
هل ما زلت تجد في غربتك شيئا مما يحييك؟
لقد أخبرتك في رحلتنا السابقة أن الغربة مصير وأن الطريق طويل..
لهذا لابد لك أن تتصالح مع غربتك أولا.. لابد أن تتصالح مع نفسك لكي نواصل هذه الرحلة..
و أؤكد لك منذ البداية أن هذه الرحلة مختلفة تماما عن الرحلة السابقة..
نحن الآن في الرحلة الثانية من مدار الغرباء.. وللمدار رحلات كثيرة..
و لكل رحلة طابعها الخاص.. وتفاصيلها الخاصة.
أما عن هذه الرحلة..
سنغوص معا في آلام عميقة بباطنك وأفراح ربما تناسيتها..
سنبحث جيدا بين ذكرياتك.. بين تفاصيل روحك..
سنبحث عن الحب.. عن الأمل.. عن الألم..
سنفتش جيدا عن كل شيء.. عن شيء من كل شيء.
سنعيش معا حياة الغرباء التائهين بين جنبات الطريق الطويل..
سنرى معا تفاصيل الألم الذي يستوطن أفئدة الغرباء في أنحاء الأرض..
لهذا أحذرك منذ البداية.. هذه الرحلة قد تكون مؤلمة بعض الشيء..

لكنها ستكون عنك.. ستجد بين أروقتها شيئا منك..

ستقلب بين تفاصيلها روحك التائهة.

ستجد نفسك المكومة وسط ركام الحياة.. ستجد روحك المنهكة تحت أحد الجدران المحطمة التي قد نراها في رحلتنا.

لهذا وددت أن أخبرك فقط..

أن تتجهز لكي تنفض الغبار عن ألمك.. عن أملك..

أن تفتح التابوت القديم الذي دفنته في مقبرة قلبك..

أن تفتح تلك التفاصيل التي ظننت أنك تناسيتها أبدا..

لكن أؤكد لك مجددا أن التفاصيل لا تنسى أبدا..

الذكريات أيها الغريب شيء ثابت..

شيء باق معنا حتى النهاية.. تذكرنا أن هذه الحياة مؤلمة بنفس القدر الذي تفرحنا به.

لا تدعني أثرثر كثيرا.. أوقفني حين تراني قد خرجت عن مسار الرحلة المتوقع..

لكني أفضل كثيرا الأشياء الغير المتوقعة التي تترك فينا أثرا جميلا..

الأشياء التي لا ننساها أبدا ما حيينا.

هيا أيها الغريب..

اركب معي هذا القارب المهترئ لنواصل الرحلة..

هيا اركب معي لنعيش هذه الرحلة بكل تفاصيلها.. بكل آلامها.. بكل آمالها.

هيا انطلق بخير وعد بخير..

هيا انطلق ثقيلا وعد خفيفا تاركا وراءك حملك الثقيل..

هيا انطلق أيها الغريب..

لقد بدأت الرحلة.

"فإذا ابتسم الصبح..
و أشرق الضحى..
و استيقظت الحياة..
ذابت كل المروعات".[2]

[2]طه حسين

تنفس عميقا

هذه الحياة تحتاج منك صمودا ويقينا..

لتواصل الطريق.

تنفس جيدا..

أعط قلبك الفسحة الكافية..

أهد روحك الوسط المناسب لتزهر..

تنفس عميقا..

ثم واصل الطريق.

هيا.. دع أثقال حملك وانطلق..

هيا.. دع عنك هذا الحمل الثقيل..

هيا.. خفف عنك شيئا من ثقلك يا سيدي..

أعلم جيدا أن الرحلة متعبة ومرهقة إلى حد لا أتصوره..

الرحلة يا سيدي تكون شديدة وأنت وحدك..

هيا إذن.. ارم عنك هذه الأحمال.. وانطلق بخير.

أيها السيد.. استرح قليلا تحت شجرة الزيتون أمامك..

ارم حملك واجلس تعد شيئا من طاقتك..

يبدو لي من تفاصيل وجهك أنك أشد إرهاقا مني.. هل كانت الرحلة أطول مما تظن؟

هيا اجلس بجانبي واسترح..

ألق كل شيء يثقل ظهرك واجلس بجانبي..

هيا.. أنت وحدك الآن.. كنت وحدك منذ البداية.. وماذا حدث؟

عدت وحيدا يا غريب.. عدت غريبا من جديد..

هل تأكدت الآن؟.. هل صرت واثقا.. أن الطريق والوحدة رفيقان؟

هذا الطريق الذي تحاول تجاوزه ولا يكاد ينتهي..

هذا الطريق الطويل.. هذه الرحلة يا غريب..

هيا.. ألق عنك كل شيء واجلس بجانبي..

هيا.. تنفس ببطء شديد.. شاهدني ودع نسمات الهواء تداعبك..

هيا.. اجلس وتنفس..

تنفس فقط.. تنفس ببطء شديد.. بعمق.. هيا تنفس..

أعلم أنك متعب.. الرحلة طويلة وقاسية.. لذا تنفس جيدا..

أنا بجانبك.. أنا أمامك.. أنا بباطنك الآن..

دع الهواء يداعب وجهك.. دع الهواء يلامسك..

هيا يا غريب.. اسمع كلماتي وتنفس..

ألق كل الحمل الثقيل.. كل شيء أرهقك.. ألقه هكذا دون أي ندم..

نحن الآن على بعد خطوات من الأمان..

نحن الآن سنخوض الرحلة الجديدة.. لذا دع عنك كل شيء وتابع.

تنفس ببطء.. بحذر.. بعمق.. تنفس جيدا..

هيا.. شهيق عميق.. زفير أعمق..

أنت الآن قد وضعت أحمالك بجانبك بكل أمان..

لكنك ما زلت تتحسسها حينا بعد حين..

لا تفعل يا غريب.. دعها وفقط.. دعها وتنفس ببطء..

أنت معي بعد الآن.. نحن معا يا غريب.. نحن معا كشخص واحد..

أكون أنت أحيانا.. وتكون أنا.. لذلك نحن كيان واحد..

هيا أيها الغريب..

اجمع كل أحمالك.. وألقها جانبا..

كل أثقالك التي جعلتك تائها.. وضعها أمامك.. ضعها لنلقيها معا بعيدا..

هل تعلم جيدا ما الذي أرهقك كثيرا في رحلتك؟

هل تأكدت من ذلك؟.. عن ذلك الشيء الذي أعياك ووددت نهاية الألم..

هل هو ألم؟.. شوق؟.. تعب شديد؟.. ما هو؟

هيا.. قلب صفحات ذكرياتك جيدا.. اقلبها لعلك تجد السر..

لكل منا أيها الغريب صخرة أتعبته..

صخرة يعيدها إلى أعلى التلة في كل مرة.. كصخرة سيزيف..

لكل منا سلاسل تستعبده.. تدعه عبدا دون أن يشعر..

لذلك ابحث جيدا في كتاب ذكرياتك.. هيا ببطء وحذر..

لكن لا تنس.. تنفس جيدا.. تنفس ودع الهواء يداعب نبضك.

عقلك أيها الغريب أعمق مما يمكن أن تتصور.. عقلك أكبر مما تعتقد..

عقلك محيط عميق لا قاع له.. بئر مظلم لا قاع له..

عقلك أعظم مما تظن..

أنت تحمل كنزا وسرا عظيما.

لذلك قلب صفحات كتاب الذكريات جيدا.. إن لم تفعل.. أو لم تستطع..

فلنجرب من جديد..

عقلك كمكتبة كبيرة.. رفوف عالية.. وطبقات كثيرة..

في كل طبقة مكتبة أكثر شمولا..

و في كل رف كتب وسندات كثيرة جدا..

في كل كتاب ودفتر ذكريات لحظات مختلفة.. سعيدة وربما أليمة..

هذا هو عقلك الآن..

ما عليك فعله الآن.. أن تقلب هذه المكتبة العظيمة لعلك تجد ذلك الشيء الذي أتعبك..

أنا لا أعلم ذلك السر.. لكني سأكون معك حتى النهاية..

لنتخلص من ذلك الجرح..

أنت الوحيد الذي تعلم ألمك.. أنت الوحيد الذي يرى أوجاعك..

لذلك لا تصدق أن أحدا قد يعلم تعبك وجرحك العميق..

أنت الوحيد الذي يعلم السر..

عليك أن تبذل بعض الجهد.. وابحث كثيرًا

ولا تنس.. تنفس جيدا.. تنفس ببطء.. بحذر.. بعمق..

في كل شهيق ألم.. وفي كل زفير أمل..

هيا أغلق عينيك وتنفس ببطء..

فتش الآن عن الأشياء التي أثقلتك كثيرا.. عن اللحظات التي أرغمتك على البقاء بائسا..

في حياة كل منا أيها الغريب لحظات عميقة..

لحظات ترسخت ذكرياتها بباطننا..

في حياة كل منا ألم وفراق.. يأس وأسى..

في حياة كل منا جرح لا يلتئم أبدا.. جرح لا ننسى ألمه..

لا يلتئم ليذكرنا مرارا وتكرارا بالذكريات الثقيلة التي أثقلت كاهلنا.

لهذا يا سيدي وأنت سيدتي..

لابد لك أن تقرر الآن.. أن تحدد تلك اللحظات الآن.. الواحدة تلو الأخرى..

هيا ارجع قليلا إلى الوراء.. شريط الذكريات أمامك الآن.

من البداية إلى الآن.. ربما هناك بعض النقاط المهمة على الشريط..

لكن لا عليك.. شيئا فشيئا سنحدد كل تلك اللحظات.. كل تلك الذكريات..

ستفتش عميقا يا غريب عن كل شيء في هذا الشريط..

هيا تفضل الآن.. فتش ذكرياتك..

حدد النقاط السوداء التي أظلمت الطريق أمامك.. هيا انطلق الآن.

التائه

الحياة عبارة عن متاهة كبيرة جدا..
لهذا فمن الضروري جدا أن تراقب بوصلتك كل لحظة..
لأن المتاهة ستأخذك حيث تكره أحيانا..
و إلى مناطق الألم العديدة..
لهذا راقب بوصلة قلبك جيدا.
عن التيه الذي نعيشه أحيانا..
لا ندري أي الطرقات خير..
اللهم يقينا..
اللهم هداية.

أنا التائه..
التائه في أروقة الحياة.. الغابر بين ظلال الزمن..
الذي فقد بوصلته ذات لحظة..
الذي فقد نبضه ذات حزن.. ذات فقد وألم تاه عن الدنيا.
أنا التائه..
التائه دون بوصلة.. الغابر دون طريق.
أعيش الحياة ولا أحياها.. أواصل الحياة ولا أدري معناها..
أواصل المسير وحيدا..
أتوه وحيدا.. أرافق نفسي.. أداعب قلبي في صمت..
أجلس على الرصيف.. رصيف الحياة الطويل..
أقلب روحي فأنفض عنها بعضا من الغبار..

بعضا من الحزن الذي ألقي عليها.

أضع قلبي بين يدي.. أقلبه جيدا..

فلا أجد فيه ما يفرحني.. أغير ضماداته بسرعة قبل أن تنزف الجراح..

أشاهده في دهشة..

كيف صرت هكذا يا قلب؟

أنت ملفوف بالضماد.. نزيفك لا ينتهي.. ما هذه الجراح؟

جراحك باقية منذ زمن.. هذه الجراح والآثار.. هذه الآلام يا قلب قديمة جدا..

أغير الضمادات وأنظف ما أستطيع تنظيفه..

فأعيده إلى مكانه.

هل هذا أنت يا قلب..

هل هكذا صرت إليه؟.. هل هذا حالك؟

هل هذا حال؟

أيا قلبا تائها.. كيف السبيل إلى هداك؟

أيا روحا منكسرة.. كيف الطريق إلى جبر كسورك؟

أيا فؤادا محطما.. كيف يعود إليك نبضك؟

من أنا؟

أنا التائه.. تائه عن قلبه.. تائه نبضه.

غيرت الضمادات.. ونفضت التراب عن الروح..

لكن شيئا لم يتغير..

ما زال الإحساس تائها.. ما زلت تائها..

ما زلت.. ويبدو أنني سأزول قريبا.

هل هكذا كان الطريق منذ البداية؟

هل هكذا كنت يا قلب؟

هل هكذا كنا؟

أحمل كيس أحمال على ظهري.. كيس ثقيل..

ما الذي يثقله..

أقلبه.. أفتحه.. فأصدم وأذهل..

حمل ثقيل.. حمل ثقيل يا تائه.. حمل ثقيل والطريق طويل..

وجدت ذكريات أليمة.. ثقيلة.

وجدت شيئا من الحب التائه..

أقلب جيدا.. أبحث عميقا.

هناك بعض الأحزان التي ظننت أنني نسيتها.. ظننت أنني تناسيتها..

لكني لم أنسى.. والحمل ثقيل.. والقلب كسير.. والطريق طويل..

حمل ثقيل.. تيه طويل..

هل هكذا كان المسير منذ البداية؟

هل هكذا أنا؟.. هل هكذا كنت؟

هل كل هذه الأثقال كنت أحملها حقا؟

هل كنت مثقلا لهذه الدرجة؟.. هل هكذا كنت؟

أقلب جيدا بين أثقالي.. أقلب..

أجد نفسي التائهة.. نفسي القديمة..

أجد نفسي مكومة في أحد زوايا تابوت الحمل الثقيل..

كيف استطعت ذلك؟

كيف استطعت حمل نفسي الثقيلة معي كل هذا الطريق؟

كل هذه المدة.. إلى الآن..

هل لأنني كنت أشتاق؟.. إلى ماذا بالضبط؟

أيامي الجميلة.. لحظاتي السعيدة.. نفسي الطيبة..

هل أحملها لعلي أضعها مكاني يوما ما؟

هل أعود أنا بعد أن صرت تائها؟

الآن أنا لست أنا..

أنا التائه.. التائه بين أروقة الحياة..

التائه عن مصيره..

التائه عن نفسه.. عن الطريق.

أنا التائه.. الغريب عن وطنه..

أنا التائه.. الغابر بين ظلال الدنيا.

أحدث نفسي وأنا أقلب حملي الثقيل..

هل أعود بخير بعد كل هذه الآلام؟.. هل أعود أنا بعد كل هذا التيه؟

هل هذا التيه يعيد بوصلتي.. ذات لحظة.. ذات فرح..

أي الطرقات أفضل؟.. أأمشي يمنة أم يسرة؟

أأعود بخير يا أنا؟

تجلس أناي مكومة لا تحدثني.. تنفر مني..

تجلس صامتة في محياها الحزن باديا..

أم أنها خيبة أمل كبرى تحلق بين رموشها..

أناي أيضا لم تبقى كما كانت..

هل هكذا كان الطريق دوما؟

هل أنا التي ظننتها بخير؟.. بخير حقا؟

أحدثها عن كل شيء صار معي..

أحدثها عن تفاصيلي الدقيقة.. عن جدار الأمل الذي انهار بعد صمود..

عن قوقعة الحب التي كانت تحتويني..

تداعت ولم تعد قوقعة.. انهارت هي الأخرى..

فصرت تائها.. وأصبحت نفسي مكومة في صندوق الحمل الثقيل هذا..

أحدثها هي وترمقني بنظرات يظهر الحزن فيها..

أحدثها وكأنني أبرر لها ما حدث حتى صرت تائها..

عن غلاف الأمان الذي كان يحميني.. لم يعد كما كان..

صار ضعيفا.. صار ضعيفا جدا.. صرت أنا ضعيفا جدا..

أحدثها عني.. عن نفسي.. أحدثها عنها..

أحدث نفسي عن نفسي.. أحدثها عما صارت إليه..

لا تجيبني.. بل تنظرني فقط.. لا أدري.. ألا تفهمني؟

أخاب أملها فيّ؟.. أخاب ظنها في ما صارت ليه؟.. فيما صرت إليه؟

لا تحدثني.. كأنها لا تفهمني..

ما دامت نفسي لا تفهمني.. فكيف السبيل؟

كيف يفهمني الغرباء؟

كيف أعود بخير؟

كيف أشرح آلامي.. عيوبي.. ثغراتي؟

عن البدر الذي كان ينير لي الطريق.. فاختفى في لحظة..

عن النور الذي كان يغمر فؤادي.. فانجلى وانتهى..

لم يعد أي شيء كما كان..

لم أعد كما كنت.. لم تعد أنا أنا..

الآن فهمت لماذا وجدتها مكومة لا تحدثني..

فهمت لماذا رأيت تلك النظرات.. تلك السهام الموجهة نحوي.

وجدت أن نفسي صارت منكسرة أيضا.. مثلي..

وجدت أنها أيضا صارت حزينة وهي في تابوت الذكريات الثقيل ذاك..

لكن السبب في ذلك كان قد صدمني..
فقد حدثتني بكلمات يسيرة.. أخبرتني بكل شيء.
كان السبب في كل ذلك.. أنا.. التائه دون بوصلة..
كنت السبب في كونها منكسرة مكومة حزينة..
كنت السبب.
ذلك القلب المهجور يبحث عن نبضه في الأرجاء..
و لا أكاد أجد شيئا أنهي به شوق الغياب.. شوق الماضي..
أعانق ذكريات الراحلين في صمت.. ونفسي تلحظني صامتة..
أقلب عيني في المكان وأئن ثم أصمت.. وكلما طال صمتي كبر الجرح.
أواصل الطريق باحثا عن شيء ما..
أتوه أحيانا وأعود إلى الرصيف كثيرا..
رصيف الغارقين في بحر الألم.. الغارقين في بحر اليأس العميق..
أجد نفسي بين عدد مهول من الغارقين..
أصحبهم على الرصيف قليلا.. ثم أعود لأواصل الطريق..
لكنني قد اعتدت الرصيف كثيرا.. اعتدت الغرق ..
فلم أعد إلى الطريق مرة أخرى..
و بقيت على الرصيف بجانب الغارقين..
وعاد قلبي مضخة دم صدئة.. وعادت روحي مهجورة.. وعادت نفسي مكومة بين الذكريات الغابرة..
عدت إلى بحر ظلامي.. أبحث عن نور ما.. أفتش عن شيء ما..
أبحث عن أمل.. أبحث عن حياة للحياة.
هكذا حدثتني نفسي.. خاب ظنها في..
لأنني بقيت على الرصيف المظلم ولم أعد إلى الطريق لأواصل المسير..

خاب ظنها..

لأنني لم أقاوم كما يجب.. لأنني استسلمت باكرا جدا..

لأنني لم أكافح ولم أصبر.. وفضلت الغرق على السباحة..

فضلت ظلام الرصيف على نور الطريق المخفي..

تنظرني نفسي بنظرات قاسية..

لقد خاب أملها..

لأنني لم أعد كما كنت.. لم أعد قويا ثابتا وفيا للعهد..

لأنني نقضت العهد وصرت من الغارقين..

ليس لشيء سوى لأنني فضلت الغرق..

ليس لشيء سوى لأنني فضلت جانب الظلام.. على ذلك النور الغابر..

لخصت لي نفسي المكومة وسط التابوت المظلم كل شيء في تلك الكلمات..

صرت على الرصيف.. رصيف الغارقين..

فهل أتحرك من مكاني؟.. هل أعود إلى الطريق مجددا كما تريد نفسي؟

هل أقاوم موت الحلم؟.. هل أقاوم التيه الذي أعيش؟

هل أستطيع البقاء وفيا للعهد.. ثابتا على الطريق؟

أنت وحدك تستطيع انتشال نفسك من مستنقعها..

وحدك قادر على مقاومة موت الحلم..

وحدك قادر على إحياء قلبك.

لابد لك أن تتصالح مع آلامك..

لابد لك أن تتعرف على عيوبك..

لابد لك أن تعرف الطريق جيدا..

لابد لا أن تعترف بالظلام المخفي بباطنك..

و لابد لك أن تعرف أن النور بداخلك أكثر إشعاعا..

أن قلبك أقوى بكثير مما تظن.

صبر وقدر

قدر الله أعظم من أن نفهمه بعقولنا البشرية..

أقدار القدير أعمق بكثير مما يمكن أن نتصور.

لكي تواصل حياتك بكل حب..

لابد لك أن تجعل إيمانك قويا لا تشوبه شبهات..

لابد لك أن تملك يقينا أعظم من يهتز بسبب عثرة أو وقعة.

لكي تواصل الحياة بكل حب..

لابد لك أن تملك حبا عظيما في فؤادك.

كنا في الرحلة الأولى قد شاهدنا قصة طفل الماء والشجر..

الطفل الذي لم يعد رضيعا فصار رجلا كالجبل..

قاوم الظلم واستطاع أن ينتصر وينشر الحب في أرجاء الأرض..

هل تذكرته؟

الرجل الذي كان رضيعا ألقته أمه في النهر.. فسارت به أمواج النهر إلى بيت الملك الظالم..

الملك الذي يقتل الأطفال الرضع خوفا من تحقق رؤيا تخبره أن فتى صغيرا من القوم سيقتله.. فصار يقتل كل مولود جديد..

الملك نفسه الذي عاش الطفل الصغير في قصره.. وكبر بين أحضان أمه بعد أن أعاده الله إليها لتكون مرضعته ومربيته..

هل تتذكر كل ذلك أيها الغريب؟

الطفل الذي صار رجلا وخرج من المدينة بعد أن قرر الملك قتله..

و بعد أن عاد مجددا.. عاد قويا يحمل النور في قلبه..

عاد فهزم الظلام وانتصر على الظالم.. وخرج بقومه نحو الحرية..

نحو الأمان.

هل تتذكره الآن؟

كنا قد تعرفنا على اسمه.. وأنت تعرفه جيدا..

لأنه من الأوفياء.. من الأنبياء الأتقياء.. من أولوا العزم..

اسمه موسى بن عمران.. النبي الصبور الوفي لطريق الحق المستقيم..

النبي الذي عاش كل حياته يدعو أهله وقومه إلى الصراط المستقيم..

النبي الذي كبر غريبا بين الغرباء..

فعاد غريبا في قصر الملك..

ليعود إلى أمه.. قبل أن يعود غريبا بين أهله.. وهو يحاول أن يخرجهم من ظلماتهم.. إلى نور الله الأعظم..

النبي الذي عاش حياته وهو يدعو ويقاوم موت الإيمان في القلوب..

عاش حياته وهو يحارب موت الحب في الأفئدة..

كان غريبا وعاد غريبا..

كان وفيا حتى النهاية..

كان اسمه موسى.. وسميناه سابقا بابن الماء والشجر..

لأن دلالة اسمه هي تلك..

تم إيجاده في صندوق صغير بين الماء والشجر..

و سمي باسمه.. موسى..

و التي تعني في القبطية القديمة ما معناه.. ابن الماء والشجر..

و هذا شيء واضح.. لأن موسى قد انتشل من بين الشجر وسط النيل..

" مو " كانت تعني الماء بالقبطية..

" شا " تعني الشجر..

و هكذا سمي موسى..

و قد كان من الواجب أن نبين الأمر قبل أن نواصل رحلتنا الجديدة..

سنعيش معه مجددا رحلة أخرى.. رحلة مختلفة جدا عن الأولى..

هذه الرحلة تحمل الكثير من المعاني والقيم العظيمة التي ستحتاجها كثيرا في طريقك الطويل ومسار الحياة القاسي..

هذه الرحلة جزء من الرحلة الكبرى لكي تترك عنك أحمالك وتلقي بثقلك جانبا..

و في هذه الرحلة صبر وعلم.. لهذا اصبر وتعلم..

هذه رحلة عاشها الغريب وهو يبحث عن الحقيقة..

و نحن سنعيش معه الرحلة بكل جوارحنا لنعلم شيئا عن الحقيقة..

و في هذه الرحلة.. وكعادتنا سنناديه بالرجل الصبور..

لأنه من الأنبياء المعروفين بصبرهم وصمودهم..

هيا إذن أيها الغريب..

فلننطلق معا..

عن الأشياء التي لا نحيط بها خبرا..

و الله بها عليم قدير.

اللهم إيمانا قويا..

اللهم صراطا مستقيما.

ذات يوم بينما كان يخطب في الناس يذكرهم بالطريق المستقيم..

إذ سأله أحدهم.. أي الناس أعلم؟

أجاب في لحظة : أنا.

كان هو أعلم الناس بين قومه.. لهذا أجاب بذلك..

كان هو أوفى الناس للصراط المستقيم.. كان أكثر الناس غربة بينهم..

لأنه غريب وفي للحب.. للإيمان.. وكان عليما بما علمه الله من علم..

لهذا أجاب بأنه أعلم الناس حينها.

و لما انتهى من خطبته.. عاتبه الله على قوله ذاك..

و أخبره أن رجلا غريبا في مكان ما أعلم منك.. رجل غريب يعلم أكثر مما تدري..

فكان فضوله كبيرا.. وكان حبه للعلم عظيما..

فلم يتوقف.. بل خرج يبحث عن ذلك الرجل..

جمع زاده وخرج ذات يوم يبتغي العلم من رجل غريب لا يعلم عنه شيء..

سوى أن الله قد أعطاه لمحة عن مكانه.. عن لقائهما..

فانطلق ابن الماء والشجر يشق الطرقات وبجانبه غلام..
غلام من الأوفياء له ولطريق الحب الذي يمشي فيه..
و قد تجهزا للرحلة.. وتأملا الطريق الطويل.. ثم انطلقا معا في طريق البحث عن العلم.
كان رجلا شديدا.. وكان رجلا ذا عزم كبير..
نبي يبحث عن علم.. بجانبه غلام يحمل عنه بعض الزاد..
معهما حوت يعتبرانه غذاء لهما وسط الرحلة الطويلة..
كان رجلا ذا علم كبير.. لكنه أراد أن يزداد علما..
أراد أن يعلم ويتعلم شيئا جديدا.. وكان عزمه عظيما.
كان نبيا.. ولكنه تقبل كون أحد آخر أعلم منه.. بكل بساطة..
تقبل ذلك.. بل وخرج باحثا عنه ليتعلم منه شيئا جديدا..
شيئا مما لا يعلم.. لكي يعلم..
كان رجلا ذا هدف وطريق.. وكانت إرادته أعظم.
لم يجلس متشائما فقط لأن أحدهم أفضل منه.. بل شد وثاق العزم..
و انطلق باحثا عنه.. انطلق بكل الحب.. بكل الأمل.. بكل العزم..
كان يعلم جيدا أن طريق الحياة طويل..
و أن تعلم الأشياء الجديدة يحيي القلب.. وينير الدرب..
و كان يعلم أن شخصا رزقه الله الحكمة والعلم سيفيده كثيرا..
كان يؤمن أن طريق العلم حب..
أن طريق البحث عن الحكمة حب..
أن طريق الوصول إلى الهدف حب..
أن طريق العزم حب..
أنت أيها الغريب..

ما حلمك؟.. ما هدفك؟
هل جهزت الطريق نحو تحقيق هدفك؟.. هل أنت عازم على تحقيقه حقا؟
هل تتقبل نقصك وعيوبك؟
لابد لك أن تفعل أولا.. ثم تواصل الطريق..
لابد لك أن تعلم جيدا نقائصك و ما تريده حقا..
كم من هدف وضعته أمامك وفشلت في لحظتك الأولى..
كم من حلم حلمت بتحقيقه ولم تتحرك أبدا من مكانك..
كم من طريق رسمته أمامك لكنك ما زلت مكانك دون عزم.. دون حب..
الطريق نحو الحلم يا صديق متعب جدا.. لهذا لابد أن يكون عزمك قويا..
لابد لك أن تجعلك إرادتك عظيمة..
لابد لك يا صديقي أن تؤمن بنفسك.. بأنك تستطيع.. وأنك ستصل..
لابد لك أن تنتفض من أجل تحقيق الحلم..
لابد لك أن تفعل يا صديق.
¤ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ ¤[٣]
لا أبرح حتى أبلغ..
لا تبرح حتى تبلغ حلمك..
لا تقف حتى تصل الهدف المنشود..
شد وثاق العزم وانطلق..
ولا تترك لليأس مكانا.. ودع الأمل يحييك..
انظر نحو نقطة الوصول.. نحو الهدف..
ثم انطلق بحب.. انطلق بعزم.

[٣] الآية ٦٠ – سورة الكهف – القرآن العظيم

الشغف من الأشياء الثابتة التي تبقينا على قيد الحياة..

فلا تفقد شغفك أبدا..

واصل الشغف بحب.

كانت علامة اللقاء مع الشخص الغريب الحكيم..

أن يأخذا معهما حوتا فيضعاه في مكتل.. ثم ينطلقا نحو مجمع البحرين..

و حيثما فقدا الحوت فذلك المكان هو مكان اللقاء..

هناك مكان الرجل الغريب.

كانت البداية في العلامات التي أعطيت لموسى "رجل الماء والشجر"..

ومن الأشياء المثيرة للاهتمام.. كون اللقاء استثنائيا..

بداية باسم الرجل الغريب.. اسمه مبهم..

¤ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَينَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ¤ [٤]

رجل غريب ذو علم وحكمة..

رجل غريب فقط.. غريب بعلمه والرحمة الذي يحملها ويمشي في الأرض ينشرها..

أما علامة اللقاء فهي الأخرى مبهمة وغريبة..

حوت في مكتل ومجمع بحرين.. فقط..

حتى زمن اللقاء مبهم واستثنائي..

لهذا لابد لك أن تتيقن أنك لن تعرف كل شيء.. مهما صعدت سلم العلم والحكمة فلن تكون في قمته..

هذا لقاء يحمل أسئلة عظيمة وإجابات أعظم..

فكان من الضروري أن تكون بدايته غيبية تحمل كل الأسرار..

[٤] الآية ٦٥ – سورة الكهف – القرآن العظيم

أيها الغريب..
لا تنس أبدا أنه مهما أصبحت عالما تعلم من الأشياء الكثير..
فحتما ستجد أن أحدهم أكثر منك علما..
لأن فوق كل ذي علم عليم.. وفوق كل علم رب عليم..
ولا تعتقد أن ستعلم كل شيء.. لأنك لن تفعل..
ولكن لا تقف أبدا.. بل واصل طريق البحث حتى الرمق الأخير..
هكذا يفعل رجل الماء والشجر..
وهو يمشي باحثا عن الرجل الغريب الحكيم..
حين بلغ هو وغلامه مكان مجمع البحرين..
توقفا قليلا ليستريحا ويستعيدا قوتهما بعد رحلة طويلة..
فلما ناما.. تحرك الحوت من المكتل واتخذ سبيله في البحر سربا ومسلكا..
صار الحوت يتخذ مذهبا له في البحر وهما نائمين..
و هناك فقدا الحوت دون أن يعلما.. دون أن يشعرا بذلك..
كان الغلام من يحمل الزاد.. ونسي إخباره بما حدث..
نسي إخبار موسى بأنهما قد فقدا الحوت..
بعد مسير وطريق طويل.. توقفا مجددا ليستريحا.
فأخبر غلامه أن يجهز الغداء بعد رحلة متعبة.. بعد مسير متعب..
تفقد زاده فلم يجد الحوت.. ولم يجد غداءه.. فذهل..
لقد نسيت إخبارك أننا قد فقدنا الحوت.. وهذا أمر عجب..
فاعذر نسياني.. فما أنسانيه إلا الشيطان.. فنسيت ذكره..
لم يعاتبه.. بل تحمس موسى وتأكد أن العلامة هي هذه..
قال للغلام أن هذا ما كنا نلتمسه ونبحث عنه.. هذه هي علامة اللقاء..
فقدان الحوت علامة لقاء.. وها هما قد وجدا العلامة..

فرجعا يقلبان آثارهما من حيث مرا.. حتى يصلا مكان فقدان الحوت..

كان عازما لا يوقفه شيء في سبيل الوصول إلى المعرفة..

كان لا يتوقف حتى يصل هدفه..

كان وفيا لطريقه القويم..

كان وفيا لشغفه.

فلما وصلا الصخرة حيث فقدا حوتهما.. وجدا رجلا غريبا بهيا..

و هناك علم ابن الشجر والماء أن ذلك الرجل الذي أتى باحثا عنه..

سلم عليه موسى وحدثه عن اسمه..

و كذلك فعل الرجل الغريب..

سأله موسى الرفقة..

سأله بكل رشد ولطف أن يعلمه شيئا من علم الله..

وكان رجلا قد رزقه الله علما وفيرا.. كان أعلم من موسى..

وموسى كان يحب التعلم.. فأراد أن يتعلم منه شيئا في رحلته..

فطلب منه أن يعلمه مما علمه الله..

أجابه الرجل بكل ثبات..

لن تستطيع أن تطيق صحبتي وما قد تراه في رحلتي..

يا موسى إن في جعبتي علما لا تعلمه.. ولك علم لا أعلمه..

وفوقنا جميعا رب عليم بكل شيء..

وأنت لن تصبر معي في رحلتي..

لكن العزم في قلب ابن الماء والشجر كان قويا.. وأجابه بالإيجاب..

سأصبر وأتابع الرحلة معك لعلي أتعلم منك شيئا مما علمك الله..

سأصبر وأتبع تعليماتك بكل ثبات..

وكان شرط الرجل الغريب ألا يسأل عن شيء حتى يشرح السر وراءه..

شرطه الوحيد أن لا يعاتبه على أي شيء قد يراه في الرحلة حتى يصلا النهاية..

فيعلمه أسرار الأشياء وما قد يلقيانه من أحداث..

واتفقا على ذلك.. لتبدأ رحلة العلم والقدر الأعظم..

رحلة البحث عن الحقيقة.. عن الحب..

لأن طلب العلم حب.. البحث عن الحقيقة حب.

أيها الغريب..

طريق الحقيقة صعب جدا.. ومرهق يحتاج منك صبرا..

و أحيانا يحتاج منك تجاهلا.. وثباتا غير عادي..

الطريق نحو الوصول إلى الحب.. ومعاني الحب العتيقة..

طريق متعب.. طريق طويل جدا..

يحتاج منك صمودا.. وصبرا جميلا..

لا تستهن أبدا بالأشياء الصعبة التي قد تواجهك في حياتك..

لأن بعض الأسرار تكمن في الرحلات التي نحياها..

وكلما واجهت في رحلتك أشياء مبهمة صعبة الفهم.. فاصبر وانتظر..

فقط اصبر وانتظر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا..

حين تتوه وتلقى أشياء لا تعجبك في طريقك نحو الحب الحقيقي..

لا تنغم.. ولا تدع ذلك يوقف رحلتك..

اصبر واثبت.. فالله غالب على أمره..

الله سيريك الطريق الصحيح.. فقط اصبر.

و حين تجد نفسك قد أحاطتك التساؤلات المكثفة..

تأمل كل الطريق.. تنفس جيدا.. تحسس نبض قلبك..

ثق بربك.. وواصل البحث.

طريق الحب شاق جدا..

طريق البحث عن الحقيقة متعب جدا..

طريق الوصول إلى الأمان طويل جدا..

فاصبر.. وتيقن من أن الله سند لك..

تأكد أن قلبك ينبض بالإيمان..

ثم واصل الطريق.

بدأت الرحلة.. وانطلق الرفيقان في طريق الحقيقة..

ولما كانا يتمشيان على ساحل البحر.. مرت سفينة.. فعرفها الرجل الغريب..

وتعرف عليه أصحاب السفينة..

كلمهم بكل رشد أن يحملوهم في السفينة..

فوافقوا من غير شك.. لأنهم يعرفون الرجل الغريب واثقين من صدقه..

حملوهم دون أجر أو ثمن..

ولما كانوا في السفينة.. وسط البحر..

إذ فوجئ موسى بما يفعله الرجل الغريب..

ذهل من مشهد غير متوقع أبدا من رجل يراه موسى بوصلة العلم والحب..

كان الرجل الغريب يقوم بقلع لوح من ألواح السفينة..

قال له ابن الماء والشجر متسائلا..

قوم حملونا دون أجرة ولا نصيب.. قوم وثقوا في صدقنا فحملونا معهم..

وأنت الآن تقوم بإفساد سفينتهم؟..

أنت الآن تعمد إلى خرق السفينة؟.. كيف هذا؟

أجابه الرجل الغريب بكل ثبات..

ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا.. ألم أخبرك أن رحلتي صعبة ولن تقدر على الصبر والصمود..

اعتذر منه موسى بحجة النسيان.. وطلب منه أن لا يؤاخذه عما بدر عنه..
فقد كان الوعد والشرط صبرا حتى يبلغ الحقيقة.. فصمت وصبر..
في نفس اللحظة لاحظا عصفورا يقع على حرف السفينة..
فينقر نقرة في البحر.. يلتقط منه بعضا من الماء..
تأملا المشهد.. فتحدث الرجل الغريب..
هل تعلم يا رفيقي أن علمي وعلمك.. مقارنة بعلم الله كنقرة هذا العصفور؟
ما علمنا معا إلا ما نقص العصفور من البحر..
علمنا معا لا يضاهي من علم الله شيئا..
وفوق كل ذي علم عليم..
كان الظاهر أمامه شيء مفزع.. فلم يعجبه ذلك..
لكن ما خفي أعظم.. وما لا يعلم أكبر مما يرى.. يقول له الشخص الغريب.
لما خرجا من السفينة..
وهما يتمشيان على الساحل..
إذ أبصرا في قرية من القرى غلاما يلعب.. وبجانبه مجموعة أخرى من الغلمان..
كان غلاما حسن الوجه جميلا.. ظاهرا بين الغلمان..
اقترب منه الرجل الغريب.. فأخذ رأسه يقتلعه.. فقتله في لحظة..
مشهد مروع صادم.. كان يرى موسى الأمر وقد بلغت منه الدهشة مبلغا كبيرا..
ما الذي تفعله؟.. إن هذا أمر منكر..
هذا ليس شيئا عاديا.. كيف تقتل نفسا بريئة دون سبب؟
كيف تأخذ روحا هكذا فجأة دون أي سبب؟
دون أي مستند أو شيء من هذا القبيل.. كيف تقتل غلاما؟

لقد جئت شيئا نكرا.. لقد جئت شيئا مروعا..

وكالعادة أجابه الرجل الغريب.. ولكن بلهجة أشد من الأولى..

ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟

ألم أخبرك يا موسى منذ البداية أن رحلتي صعبة جدا.. ووافقت على الصبر؟

أخبرتك منذ البداية أنك لن تكون قادرا على الصمود أمام ما ستراه..

ألم أخبرك بكل هذا؟

هناك أشياء لن يقدر قلبك الصغير ولا عقلك البسيط على استيعابها..

لأنها وبكل بساطة تفوق طاقتك..

لهذا لابد لك أن تصبر حتى يحدث الله أمرا..

كان موسى نبيا.. وكان من أولي العزم والقوة..

فنخوته وقلبه العظيم لم يدعاه يصبر أمام كل تلك التجاوزات..

رغم أنه يعلم أن الرجل أمامه شخص أعلم منه..

لكن الطبيعة الإنسانية فيه لم تتركه حتى أظهر عدم رضاه عما يحدث..

كان يعلم منذ البداية أن الرحلة رحلة صعبة جدا..

كان يدري الأمر منذ البداية.. لكنه لم يصبر.. لأنه إنسان..

لأنه بشري.

أيها الغريب..

ما حياتنا بأكملها سوى رحلة.. ونحن نعلم جيدا منذ البداية أنها ستكون متعبة مرعبة موجعة..

ورغم ذلك نحن نحزن ونتغم حين نواجه أشياء مؤلمة..

رغم كل معرفتنا.. إلا أن حدثا بسيطا يدعنا ندخل بئر الحزن..

رغم أننا ندري جيدا أن الدنيا دار شقاء..

لكن الضعف مرسخ فينا.. لأننا بشر.

نحن ضعفاء لا نقدر على مواجهة كل ذلك.. إلا بالإيمان..

الطريق أمامنا وعر.. ونصادف كثيرا عثرات توقف المسير.. مؤقتا..

أحيانا نقف أمام لحظات الفراق..

نتأمل ونحزن.. ونتساءل كما تساءل موسى.. لماذا؟

لماذا نفقد؟.. لماذا يحصل لنا كل هذا؟

لأننا وبكل بساطة..

لا نصبر على ما لم نحط به خبرا..

وحين نعلم السر.. نتأسف على ما بدر منا من تصرفات.. وإهمال.

اعتذر موسى مجددا..

لقد أعذرتني مرة بعد أخرى.. وإن اعترضت مجددا فلا تصاحبني..

لقد بلغت العذر في شأني.. إن اعترضت ففارقني..

ثم انطلقا مجددا يواصلان الرحلة العظيمة..

الرحلة المتعبة والطريق نحو حقيقة وحب..

حتى إذا بلغا قرية من القرى..

طلب الرجل الغريب من الناس الاستضافة.. أو شيئا من الطعام..

لكن أهل القرية رفضوا فلم يستضيفوهما..

ولم يهدوهم أي طعام أو شراب..

وفي أحد جوانب القرية.. وجدا حائطا يقترب من الوقوع والسقوط..

فأخذ الرجل الغريب يعدله ويقيمه..

حتى أعاده واقفا جديدا كأن لم يكن يريد أن ينقض..

وكان موسى يشاهده وهو يفعل ذلك.. تعجب من فعله..

فقال له..

قوم رفضوا أن يضيفونا.. ورفضوا إطعامنا..

وأنت هنا تقوم بإصلاح ما اقترب ما سيهدم في قريتهم؟

لو أنك طلبت أجرا على ذلك؟

لو أنك اتخذت على عملك هذا أجرا.. فربما كنا نطعم به أنفسنا..

لم يكن ينبغي أن تعمل لقوم يرفضون استضافة عابر سبيل.. سوى بأجر..

وأنت هنا تفعل كل هذا مجانا.. كيف ذلك؟

الخير ليس مقترنا بما يفعله الآخرون لنا..

الخير مقترن بما في صدورنا.. وما تنويه قلوبنا من حب..

ربما لن يفهم الآخرون مبتغانا.. بما سيعترضون..

لكن إن رأيت نفسك أمام فعل خير.. فقم به ولا تنتظر..

عن الأشياء المبهمة التي تحدث لنا كل لحظة..

عن الأشياء التي نبحث عن السر وراءها لعلنا نطمئن..

عن التيه الذي نعيشه أمام أحداث شتى في حياتنا..

عن كل التساؤلات التي طالتنا.. وما زلت تطولنا..

حين نقف حائرين ونتساءل.. لماذا؟.. وكيف؟

حين نحتار ونتأمل أنفسنا أمام تيه طويل..

اللهم بصيرة..

اللهم ثباتا.

أجابه الرجل الغريب..

لقد وصلت رحلتنا إلى نهايتها.. ووصلنا إلى الفراق يا موسى..

لقد كان شرطك قبل الآن.. إن اعترضت فلن أصاحبك..

وها قد وصلنا الفراق..

لكنني سأخبرك عن الأشياء التي مضت.. عن الحوادث التي لم تستطع أن تصبر أمامها..

سأخبر بالسر وراء كل واحدة..

فاسمع مني وتعلم..

نحن قد مررنا في رحلتنا هذه بثلاث مراحل..

ثلاث حوادث.. ثلاث اعتراضات منك..

لهذا سأقوم بشرح كل واحدة على حدة..

سأخبرك بالسر الذي تجهله وأعلمه أنا..

سأخبرك بما علمني الله.. وما جهلته أنت..

سأخبرك بعاقبة أفعالي التي لم تستطع ترك العتاب عنها..

سأخبرك بما لم تستطع عليه صبرا.

أما السفينة..

فقد كنت أعلم أن أصحابها مساكين.. وضعفاء..

وما فعلته بها ما كان إلا خيرا لهم..

لأن ملكا ظالما يأتي ليأخذ كل سفينة ظلما وغصبا.

كان أمامهم ملك ظالم..

سيأخذ سفينة الضعفاء دون أي مقاومة منهم.. لأنه أقوى منهم..

لأنه يأخذ كل السفن غصبا.

أما ما أحدثته من خرق في السفينة.. فما هو إلا خير..

لأن الملك لا يأخذ السفن المعطوبة.. ويدع كل السفن المعيبة..

وحين يمر ويذهب.. سيعود هؤلاء المساكين ليصلحوا سفينتهم..

حين أرده عنهم.. يصلحوها ويستمتعوا بها.

وما فعلته إلا لأقيهم شر الملك وظلمه..

وما كان خرقي للسفينة إلا لخير لا تعلمه.. وقد علمته الآن.

لقد أخبرتك أن هناك أشياء لن يقدر عقلك على استيعابها..

لأن نظرتك للأشياء نظرة بشرية من زاوية محددة..

أما أنا فقد علمني الله شيئا لا تعلمه.. فأرى من زاوية أخرى.

و الله فوقنا يرى كل شيء..

كانت تلك المرحلة الأولى التي لم يصبر فيها موسى..

ولو كنا مكانه لما صبرنا..

لأن زاوية رؤيتنا أيضا محدودة.

أما ما حدث حقا..

فلابد لنا أن نستوعب أن أقدار الله عظيمة.. وأننا ضعفاء..

كان هذا بعضا مما يحدث لنا كل يوم..

كان هذا شيئا من الأقدار..

نرى أمرا سيئا فنحزن وننغم.. ثم تمر فترة ما.. ربما قصيرة وربما طويلة..

فنكتشف أن ما حدث حقا خير لنا.

نصادف في حياتنا أحداثنا مؤلمة.. نراها في تلك اللحظة شرا..

نصرخ ونحزن ونبكي من خسارة ما أو فقد ما..

وحين يمر الزمن.. نتيقن أن ما حدث سابقا قد وقانا شرا أعظم..

نخلص إلى أن الله قد أذهب عنا شرا وألما عظيما.. بألم بسيط..

كم من شيء فقدناه وظننا فقدانه شرا..

تمر الحياة فنجد أنه خير.. وأن الفقد خير لنا.

كم من شر نراه شراه في لحظتنا..

وبعد زمن نكتشف أنه خير عظيم..

نحن نعبر من جسر اليأس بفضل رحمة الله..
نحن نقف بعد كل وقعة بفضل لطف الله بنا..
نحن نحيا بالحب الذي يغمر كياننا..
نحن بخير ما دام الله معنا..
نحن بخير ما دام الإيمان ثابتا في قلوبنا.

أنت أيها الغريب..
كم من شيء فقدته وجلست تنعي نفسك خسرانه..
كم من ملك خسرته.. وظننته شرا حل بك..
كم من مال سرق منك.. أو خسرته ببساطة.. واعتبرت الأمر مصيبة..
كم من غال فقدته وبكيت على فراقه..
أيها الغريب..
قف وتأمل..
إن العثرات أمامك تحمل خيرا ستعلمه بعد حين.. فاصبر..
إن وقوعك المستمر وسقوطك الذي تظنه نحو الهاوية..
ربما هو خير لك لتعود صامدا نحو القمة..
هيا يا غريب.. قف وتأمل..
كل ما يحدث لك في هذه الحياة خير لك..
كل شيء تصادفه وتراه يحمل سرا عظيما.. والله بكل شيء عليم..
كل شيء على هذه الأرض يخفي حكمة.. ويبطن خيرا..
والله غالب على أمره.. لا تنس ذلك أيضا..
الله على كل شيء قدير.. ألا تظن أنه قادر على انتشالك من ظلامك؟

ألا ترى أنه قادر على إيقافك.. وإعادة نبضك مستقرا؟

يتحدث الرجل الغريب إلى موسى بكل ثقة وحكمة بالغة..

أما الغلام..

فقد كان ابنا لأبوين مؤمنين وفيين للعهد.. ثابتين على الصراط..

وقد طبع على الطفل أن يكون كافرا.. ولم يرد الله أن يدعه يرهق أبويه بالكفر والطغيان..

يعلم الله أن الغلام ليس فيه خير للأبوين.. فأراد أن يجنبهما مرارة الفسوق..

والله أحب أن يبدل الأبوين خيرا منه..

وهذا يا موسى علم أعظم من أن يعلمه بشري.. أو إنسان ضعيف..

هذا أكبر من أن يستوعبه عقل بشري عادي..

لأن هذا علم الله.. والله بكل شيء عليم..

الله يعلم الغيب ويعلم ما تخفي كل الصدور..

لهذا يا موسى لم تكن قادرا على الصبر.. والآن بعد علمت السر..

سيكون الأمر قد هان وصار عاديا.. ولكن تلك الأم التي فقد ابنها..

لا تعلم كل هذا..

وربما يرزقها الله ذرية تعوض هذا الفقد.. ربما تروي ألمها..

ولكنها لن تعلم أبدا السر وراء فقدان ابنها..

لن تعلم أن ابنها كان سيكفر ويذيقها مرارة الطغيان..

هي الآن تبكي حرقة على فراقه.. حرقة على موته..

ولا تعلم أبدا السر وراء ذلك..

ربما تقول في نفسها أن ما حدث خير.. ولكنها لا تعلم السر..

لأن الله وحده يعلم الغيب.. وعلم الله يؤتيه لمن يشاء فقط..

لهذا يا موسى.. فعلت فعلتي وقتلت الغلام..

أرأيت أيها الغريب؟
كم من شيء تراه في ظاهره مرعبا مفزعا ولكن الخير وراءه عظيم..
كم من فقد وترك ألم بنا.. وكان وراءه خير لا نعلمه ولن نعلمه..

نحن هنا يا صديقي أمام عظمة قضاء الله وقدره..
نحن أمام قدر عظيم..
قدر نراه في البداية شرا وسوءا قد حل بنا..
ولكنه في الحقيقة خير دفين.. وراءه خير عظيم..
الفرق بينه وبين الأول..
أن الأول نراه شرا ونعلم بعد حين وزمن ما أنه خير..
الأول نلاحظه سوءا في لحظته تلك..
وبعد زمن نتأكد أن ما حدث خير.. أن ما حدث يحمل من الخير الكثير..
أما الثاني..
فنحن نراه شرا واضحا.. نراه ألما باديا..
وهو في الحقيقة أمل وخير دفين.. هو في الحقيقة أمل لنا..
لكننا لن نعلم حقيقته أبدا..
سوف نواصل حياتنا حتى النهاية ونحن نظنه شرا..
سوف نواصل حياتنا النهاية دون أن نكتشف السر وراءه..
الفرق بين الأول والثاني..
أن الثاني يحمل من الخير الكثير..
ولكن كتب علينا أن نعيش مرارة الفقد حتى النهاية..
ولن نعلم الحقيقة حتى نصل إلى الآخرة..
سنجهل السر وراء ما حدث حتى النهاية.

وهذا ابتلاء لنا.. إن كنا حقا مؤمنين.. إن كنا حقا على يقين بأن الله يريد لنا خيرا في كل شيء نلقاه في حياتنا..

كم من حبيب فقدنا وواريناه التراب.. وبكينا ونحن نتساءل لماذا هو؟

كم من قريب ودعناه القبر ورجعنا نجر ذيول اليأس..

وقلوبنا تنبض تساؤلا.. لماذا نحن؟.. لماذا هو الذي سيموت؟

كم من شخص صديق رحل عنا فجأة.. وفي وداعه نرى الأمر سيئا..

كم من جنازة بكينا وراءها بحرقة.. وصرخنا مودعين..

ونحن نقول في أنفسنا.. لماذا كل هذا الفراق؟.. لماذا كل هذا الوداع؟

كم من وداع لم نستطع معه صبرا..

فصبر جميل يا صديق.. والله المستعان.

كم من ألم لم نستطع أن نصبر لحرقته..

فلا تنس يا صديق أن تنفض الغبار عن إيمانك في أشد أوقاتك وجعا..

لا تنس أبدا أن تخرج أسلحة إيمانك في أكثر أوقاتك بؤسا..

ثم تحارب كل اليأس الذي يحيط..

أنت على يقين.. أن الله فوقك يراك ويسمعك..

و أنت على يقين.. أن قدر الله أعظم منا جميعا..

و أنت على يقين.. أن الطريق وعر.. والله خير سند لك.

لابد لك يا صديقي أن تنتفض..

أن تحيي نفسك بنفسك.. أن تعيد نبضك بإيمانك..

أن تغسل عنك كل أتربة البؤس.. وألم الفراق..

هيا يا صديق..
اصبر وانتفض.. اصبر وانطلق.. اصبر وكن على يقين..
كن على يقين..
أن ربك غالب على أمره.. وهو على كل شيء قدير.
عن الندبات التي تركها الراحلون..
عن الشوق إلى ظل أموات وارايناهم التراب..
اللهم صبرا جميلا.. اللهم لقاء في الجنة.

اقتربت الرحلة من النهاية..
تنهد موسى وهو يسمع الرجل الغريب يخبره بآخر درس.. آخر حديث..
سيحدثه عن آخر نقطة.. آخر سر من الرحلة..
ولو أن موسى استطاع صبرا.. لتعلمنا من الرجل الغريب أشياء عظيمة..
لو أنه صبر لعلمنا أسرارا أعظم..
أما الجدار..
يتحدث الرجل الغريب مخاطبا موسى..
أما الحائط الذي شاهدتني أقيمه دون أجر..
فما أعلمه أنا وتجهله أنت يا موسى.. ما علمني الله ولا تعلمه أنت..
أن الحائط كان لغلامين في المدينة.. وكان تحته كنز..
كان هذا الجدار المنهك لغلامين.. وكان كنز مدفون تحته..
وقد أراد الله أن يبلغا قوتهما وشدتهما ليستخرجا الكنز..
وقبل أن يصلا تلك المرحلة.. فإني قد رفعت الجدار وأقمته..

لأحمي الكنز المدفون.. لأحمي كنزهما من أي شر حتى يستطيعا الوصول إليه حين يبلغان أشدهما..

أتعلم الآن لماذا أقمت الجدار دون أجر؟

أتعلم الآن الحكمة البالغة وراء ذلك؟

أما من الأسباب حتى أراد ربك أن يستخرجا كنزهما..

فقد كان أبوهما صالحا.. كان أبوهما من الثابتين على طريق الصلاح والحب..

كان والدهما شخصا طيبا يحب الله.. فأحبه الله..

وقد فعلت ذلك رحمة باليتيمين.. رحمة من ربك..

وكفى بربك رحيما ولطيفا..

هل تعلم الآن السر يا موسى؟

هل تعلم الآن الحقيقة وراء كل الأشياء التي لم تستطع عليها صبرا؟

وما فعلته وما شاهدتني أفعله؟

لم أفعله من تلقاء نفسي.. لم أفعله من أمري..

وإنما فعلته عن أمر الله إياي به.. أمرت ففعلت..

وما أنا سوى عبد مأمور.. عبد لرب العباد.. عبد لله.. أمرني ففعلت..

وهذه نهاية طريقنا معا..

وهذا شرح وتأويل الأشياء التي لم تستطع فهمها..

فلا تتسرع أبدا وتحكم على الأشياء من نظرتك الأولى..

لأن ما خفي أعظم.

لأن ما تره ظاهرا يخفي في باطنه أسرارا عميقة..

لهذا اصبر وواصل الطريق.. واصل الحب.

هل رأيت أيها الغريب؟

هل رأيت عظمة أقدار الله مجددا؟

كانا طفلين صغيرين في مدينة ما.. في قطر ما..

وهنا كان رجل غريب يحمي لهما كنزهما..

لم يكونا يعلمان ما يحدث.. وربما لن يعلما أن رجلا غريبا من حفظ لهما الكنز بأمر من الله..

هل رأيت عظمة الله القدير؟.. هل رأيت أقداره؟

هذا ليس شيئا مطابقا للأول والثاني..

نحن هنا أمام شيء مختلف تماما..

نحن أمام لطف الله الخفي.. ورحمته الدفينة..

طفلين صغيرين لا يعلمان شيئا عما حدث..

سيكبران وحين يأتيان لاستخراج كنزهما.. سيجدانه محميا..

محميا بجدار قام أحدهم بتسويته.. وإقامته..

وكل ذلك رحمة من الله.. لطفا بهما..

نحن هنا أمام لطف الله العظيم..

خير يسوقه الله إليك وأنت لا تدري مصدره.. ولن تعلم ما حدث حقا..

و شر يصرفه الله عنه لا تعلم عنه شيئا ولن تعلم أبدا..

هل علمت الآن سرا من الأسرار؟

أن الله يصرف عنك شرورا كثيرة دون أن تدري..

ويأتي إليك بخير لا تعلم مصدره ومساره الحقيقي..

الله يلطف بك كل يوم وأنت لا تدري..

الله يرحمك كل يوم وأنت غافل عن ذلك..

أنت أيها الغريب..

تغفل كثيرا عن الأشياء التي تحدث لك في حياتك.. في حين أن وراءها أسرارا عظيمة..

تغفل كثيرا عن أحداث ولا تعلم الحكمة البالغة فيها..

أنت تنسى كثيرا ألطاف الله بك..

أنت تغفل دائما عن الرحمة التي تحيطك..

ثم تقف وسط الجمع تخبرهم أن ما يحدث معك ليس عدلا..

وتعلن الحداد على سعادتك..

فقط لأن شيئا بسيطا قد حدث لك.. وأنت تجهل السر وراءه..

فقط لأنك تعرضت لوخزة بسيطة.. مقارنة بوجع الآخرين..

وبحكم الألطاف العظيمة وراء وخزتك..

وأنت تجهل ما خفي عن العالمين.. تعلن أن ألمك لا شبيه له..

تعلن أن وقوعك لا مثيل للوجع النابع عنه..

وأنت لا تدري شيئا عن السقوط الموجع للآخرين..

أيها الغريب..

هيا قلب صفحات حياتك.. الواحدة تلو الأخرى..

هيا اجلس بجانبي مجددا.. دعنا نبحث بكل جدية في تفاصيل الذكريات..

ولنعلم بعض الأسرار عن آلامك..

هيا تنفس مجددا.. وتذكر..

ابحث عن ألطاف الله بين ذكرياتك..

فحتما ستجدها.. ستشاهد أشياء حدثت وتعلمت منها..

ستشاهد أحداثا جنبتك شرورا أعظم من الوخزات التي طالت قلبك..

هيا يا صديقي..

ابحث جيدا.. ولا تدع لليأس مجالا في صدرك..

انتفض وتعلم أن الله سند لك.. وأن كل ما يحدث يحمل خفايا اللطف.. وخبايا رحمة الله..

هيا قم وقاوم موت الحياة في فؤادك..

ودع قلبك ينبض بالحب.. ولا تدع شمعة الشغف تخفت أبدا..

هيا يا غريب..

ثق في أقدار ربك وواصل الطريق بكل حب ويقين.

لقد انتهت رحلة موسى مع الرجل الغريب..

وخرج منها بأسرار عظيمة.. ولو أنه صبر قليلا لتعلم أشياء أعظم..

وقد كانت رحلة علم وقدر..

رحلة صبر وإصرار..

رحلة رجل عازم على البحث عن العلم والمعرفة..

رحلة رجل يمشي على الصراط المستقيم.. ويبحث بكل شغف عن الحقيقة.. عن العلم بكل حب..

رحلة نبي وعالم علمه الله أشياء لا يعلمها النبي..

رحلة رجلين غريبين.. وفيين للعهد.. ثابتين على الصراط..

رحلة غريبة بكل تفاصيلها..

مليئة بالحب والرحمة..

رحلة عزم وحب.. رحلة بحث وعزيمة..

رحلة إرادة وثبات على الطريق القويم..

كانت رحلة قصيرة بعض الشيء.. لكنها مثقلة بالأسرار..

وقد وصلت إلى نهايتها بكل الحب.. وكل رحمة..

وما نحن سوى بشر.. علمنا محدود.. ومعرفتنا لا تساوي شيئا أمام عظمة الأقدار الإلهية..

ما نحن سوى ضعفاء أمام قدرة الله العليم الحكيم..

ولابد أن نؤمن بذلك جيدا.. ثم نواصل الطريق.

هيا أيها الغريب..

اجلس وتأمل جيدا.. قلب ذكرياتك مجددا..

ابحث عميقا في باطنك عن كل الأشياء التي حيرتك..

عن الأحداث التي ودعتها طابع الأبدية.. على شكل ذكريات مؤلمة..

هيا يا صديق..

تنفس عميقا.. تنفس ببطء شديد..

وأخرِج بعض أوجاعك على شكل زفير أعمق..

هيا تنفس عميقا.. تنفس بكل جوارحك..

هيا أيها الغريب..

إن الطريق أمامك طويل.. الطريق نحو الأمان أطول مما تظن..

اترك عنك كل ذكرياتك الموجعة..

أثقالك العابرة..

ثم انطلق بقوة..

انطلق بخير وحب.

انطلق بشغف.

الطريق الطويل

الحياة عبارة عن طريق نراه طويلا في بعض الأحيان..

ونلحظه قصيرا في أحايين كثيرة..

ولكل طريق رصيف خاص به..

ولكل طريق نقطة وصول..

لكل طريق نهاية.

طويل كأن لا نهاية له.. قصير كأن لا بداية له..

قاس كأن لا راحة فيه..

مريح كأن لا محنة فيه..

هكذا كنت أيها الطريق الطويل..

فهل هكذا حقا كنت؟

أيها الطريق.. نحن المارون بكل تفاصيلنا على مسارك الطويل..

نحن الذين لا تكاد تحس بأقدامهم..

نحن العابرون دون أثر ولا مصير..

أيها الطريق..

نحن المسافرون بين جنباتك.. نحن التائهون بين ظلامك..

نحن الغرباء بين أرصفتك.. الغرباء عنك..

أيها الطريق الطويل..

كيف كنت سابقا قبلي؟

هل هكذا حقا كنت؟

أيها الطريق..

نحن مجرد حفنة من الغرباء..

حفنة بين الكم الهائل الذي مر من هنا.. الكم الهائل الذي ترك أثرا والذي لم يترك شيئا..

أنا مجرد عابر سبيل.. مجرد عابر أعبر سريعا أيها الطريق..

عابر أمر من هذا الطريق.. إلى نهايته.. إلى نهايتك..

حقا أيها الطريق؟..

كيف هي نهايتك؟.. كيف هي نهايتي؟

أخبرني أيها الطريق..

هل نعبر بأمان كما بدأنا أول الطريق.. كما خطونا أول خطوة إلى هذا المسار؟

هل تذكر البداية أيها الطريق؟

بدايتي أنا وليس بدايتك.. حسنا بدايتي معك..

لأنك كنت هنا قبلي وستبقى بعدي.. هذا شيء أكيد..

هل تتذكر؟.. حتما ستتذكر.

حين عبرت إليك باكيا.. دخلت هذا المسار باكيا.. لماذا؟

منذ البداية أيها الطريق أنت قاس..

أبكيتني منذ البداية.. أول شيء فعلته أنني بكيت..

هل حزنا.. أم فرحا؟.. هل ألما.. أم أملا في أن الأمر بخير؟

كان لابد أن أبكي.. كانت تلك علامة كوني على قيد الحياة..

يا للغرابة.. أليس كذلك أيها الطريق؟

أبكي لكي أحيا.. أبكي أولا ثم أحيا..

لماذا إذن أحزن وأدمع طوال حياتي.. وقد كانت البداية هكذا؟

حقا أيها الطريق.. هل هكذا كنت؟

هل حقا كنت هكذا من قبل؟

أيها الطريق الطويل..

هل حقا نحيا بسرور بين جنباتك؟.. أم أن مصيرنا الألم الأبدي؟

هل أنت طريق السعداء؟.. أم طريق البؤساء أنت؟

أخبرني أيها الطريق..

لماذا تحزننا التفاصيل البسيطة؟

ذكرى بسيطة.. تفصيلة دقيقة..

قد تعيدنا إلى عمق الأحزان التائهة..

قد تذكرك في متاهة الأوجاع الغابرة..

تفصيلة بسيطة أيها الطريق..

تلقي بنا إلى بئر الذكريات المظلم..

أشياء صغيرة..

تعيدنا إلى رصيف البؤس الذي كنا فيه.. ذات يوم.. ذات وجع.

آه منك أيها الطريق..

تجعلنا نعاني أبسط الأشياء..

لماذا أيها الطريق؟.. هل هكذا كنت منذ البداية؟

هل هكذا الوجع حقا؟

أنت تعلم ذكريات وضعناها على رصيفك.. ثم رحلنا..

ثم أخذتنا بعيدا عنها..

لكنك تأبى إلا أن تعيدنا في كل فرصة.. في كل لحظة إلى ذلك الرصيف..

رصيف الذكريات.. رصيف الوجع.. رصيف الظلام..

تذكرنا أن الألم رفيق لنا..

تذكرنا أنك طريق الشقاء.. طريق محن..

تذكرنا أن هذا الطريق ليس للضعفاء.. أن هذا الطريق طويل صعب..

تذكرنا أن سبيل النجاة الوحيد هو الحب..

تذكرنا أيها الطريق أن الحب أعمق مما يخبرونكم به..

الحب أعظم من كل ذلك..

تخبرنا أيها الطريق أن الأرض يقتلها الجهل والكراهية..

و يحييها الحب والأمل..

تذكرنا في كل فرصة أيها الطريق.. لكننا لا نتذكر أبدا..

لا نتعلم.. لا نفعل..

تذكرنا أن هذا الطريق للأقوياء فقط..

للأوفياء فقط..

فهل حقا نحن أوفياء؟

تعثرت قلوبنا في طريق الحياة الطويل..

لكن الإيمان يجعلنا نواصل رغم كل شيء.

حظ عاثر!!

من الأشياء المرعبة على طريق الحياة الطويل..

أن تفقد الشغف.. أن يتركك الأمل..

أن تنسى الحب.. ويجتاحك اليأس..

أن تتركك نفسك على رصيف الظلام..

و تعيش على وقع الفقد.. على الظلال.

يحيطنا البؤس من كل جهة..

الطرق مغلقة.. والنور قد اختفى..

ما الذي قد يعيدنا إلى المسار الصحيح..

الألم أم الأمل؟

أجلس وحيدة في غرفتي المظلمة.. وأفكر..

يتسلل بعض نور القمر عبر النافذة المفتوحة على مصراعيها..

يشتت أفكاري أحيانا.. ثم أعود مجددا..

أعود إلى غيابة البئر التي أنا فيها.. إلى الظلام الذي يحيط قلبي..

مظلم جدا هذا البئر..

كل شيء مظلم حولي.. لا نور ولا حياة..

أنا إنسانة سيئة الحظ..

أنا إنسانة قد بلغ منها الوجع عتيا..

أنا إنسانة لم يبقى لها نبض يحييها..

لم يعد لها غصن تتمسك به.. لم تعد تريد أن تتمسك بالحياة..

أنا إنسانة منتهية..

هل حياتي تستحق مني أن أبقى؟

أن أقاوم.. أن أعود بخير.

و إن أردت ذلك.. فكيف السبيل؟

كيف أعود بأمان؟

يحيطني اليأس من كل مكان.. كيف السبيل إلى نهايته؟

أنا عبارة عن جبل من الدموع..

أنهار لمجرد كلمة.. فتسيل مني أنهار الدموع..

أنا مجرد جبل بائس..

أعاني.. وأعاني من البؤس كثيرا.

هل هذه الحياة عادلة حقا؟

هل من العدل أن أعيش هذا البؤس وحدي؟

أجلس وحيدة وأفكر.. في الطريق.. في المصير.. في الحياة..

أفكر في المستقبل القريب.. وربما البعيد..

أفكر كيف أكون بعد زمن.. وهل حقا سأبقى لأكون..

هل يندثر البؤس يوما؟.. هل أعود بخير؟

أنا عبارة عن كومة من الكآبة..

أنا مجرد صندوق ملئ بالحظ التعيس.. باليأس والحزن..

نعم.. أنا شخص تعيس الحظ..

غريبة تائهة عن مسار الحياة..

هل هكذا كانت الحياة منذ البداية؟

هل هكذا تبقى هذه الحياة حقا؟

أجلس وحيدة في غرفتي المظلمة وأفكر..

لا شيء يجردني من تعاستي.. لا شيء يعيد لي النبض من جديد..

أنا إنسانة تفكر مليا.. في كل شيء وفي كل التفاصيل..

أفكر في الخلاص والتخلص.. أفكر في النهاية منذ الآن.

نعم.. أفكر لكني لم أقرر بعد.. ماذا سيحدث إن فعلت..

و كيف أفعل حقا؟

أود كثيرا أن أتخلص من هذا الضيق الذي يحتل أعماقي..

أود كثيرا أن أعود بخير.. أن أرجع إنسانة قوية من جديدة..

لكن ذلك لا يحدث أبدا..

و كأن قدري أن أبقى بائسة إلى النهاية.. أن أبقى حبيسة زنازين الحزن مدى الحياة.

و كيف هي النهاية حقا؟

أراها تقترب جدا.. أم أنني سأخطو الخطوة الأولى نحوها..

أفكر.. أفكر مليا..

ضجيج يملأ رأسي.. عاصفة تداهم هدوئي السابق..

أما الآن فأنا عبارة عن دوامة تبتلع كل الأحاسيس السيئة..

أنا عبارة عن جسد على قيد العيش فقط.. روحي منكسرة.. وفؤادي محطم.

أنا شخص يود التخلص من هذه الحياة نهائيا..

أنا شخص بائس بامتياز..

هل هذه الحياة تستحق مني البقاء؟

هل هذا البؤس سينتهي يوما ما؟

أجلس وحيدة في غرفتي المظلمة..

أشاهد شريط ذكرياتي.. شريط أوجاعي وآلامي..

أبحث فيه عن لحظات الأمان.. لحظات الأمل..

أبحث جيدا.. لكني أشاهد لحظاتي السيئة فقط.. لحظاتي المؤلمة..

أشاهد كل ذلك وأفكر..

يعود البؤس ليعانق بؤسا قد استقر بباطني..

يعود ليذكرني أن البؤس لن ينتهي أبدا..

و أتساءل.. هل حقا ينتهي الألم؟.. هل ينتهي البؤس والوجع؟

هل التخلص أفضل لي حقا؟

هل الرحيل سيجعلني أنهي هذا الوجع؟

أفكر.. أتساءل.. أسأل نفسي تكرارا..

أقلب ذكرياتي.. أعانق آلامي.. أشاهد شريط ذكرياتي..

ثم أعود أفكر..

أتساءل.. هل الطريق وصل إلى نهايته حقا؟

هل أتخلص أخيرا؟

لم أعد أملك من الجهد ما يكفي..

لم أعد قوية لأقاوم..

لم أعد كافية لأحارب..

لم أعد أنا..

فكيف السبيل؟

فكرت مليا.. ثم قررت..

تذكرت أنني لا أستطيع أن أقرر قرارا مناسبا في ظل التيه الذي أعيشه..

كيف السبيل إلى الهدى؟.. كيف الطريق إلى الأمان؟

أفكر وأتساءل مجددا.. وسيل الحياة يأتي بسرعة لا يدع لي مجالا للتفكير..

أنا بائسة.. أنا البؤس بعينه.. أنا الأسى بحد ذاته..

أنا كومة من الأحاسيس السيئة.. أنا لا أدري ما أنا وكيف السبيل إلى معرفته..

و في عز اليأس الذي أحاطني.. أجد في الطريق الطويل للحياة بضعة أوراق تحمل بين طياتها حياة للحياة..

هل باستطاعة كلمات ما أن تعيدني إلى الطريق مجددا؟.. تساءلت..
ثم فتحت الأوراق.. وضعتها أمامي.. كانت عبارة عن عبارات متفرقة.. ونصوص عابرة..
ربما كتبها غريب ما.. في قطر ما.. في زمن ما..
هل أفتحها؟.. هل أقرؤها؟.. تساءلت مجددا لأنني شخص يشك في كل شيء..
شخص يعتبر كل شيء بائسا مثله..
لأنني قد وصلت مرحلة بعيدة في الأسى.. والبعد عن الحياة.
هل بإمكان الكلمات العابرة أن ترجع نبض الحب مجددا إلى مكانه؟
هل يعزف قلبي بكل الأمل؟.. وهو الذي أتعبته المشاعر المبعثرة..
هل أجمع حطامي مجددا فأصير على قيد الحياة؟.. على قيد الحب؟
أقف الآن بين مفترق طرق غريب جدا..
أقف والدم يتدفق في شراييني بسرعة.. واليأس يحط ظلاله بجانبي..
ثم أتأمل مجددا ما يحيطني من بؤس.. وأقرر أن أقرأ..
أقرر البحث عن الحياة بين التفاصيل التائهة.. التفاصيل الحية..
و أتساءل.. هل أحيا مجددا؟.. هل تعيد الكلمات حياة قد صارت مظلمة؟..
هل يعود النور مجددا؟

في ظل اليأس الذي يلتهم روحك..
ابحث عن الشيء الذي يحييك..
ابحث عن النور الذي سيعيدك إلى الطريق.. بأمان..
ربما شخص ما..
ربما مكان ما..
ربما ذكرى غابرة..
و ربما كلمات.

الأماني

بعض الكلمات دواء..

و بعضها داء.

***

من المحبط جدا..

أن تنتظر السعادة من المكان الذي تم طعنك فيه مرارا.

البحث عن الأمان يحتاج منك صبرا ويقينا..

البحث عن طمأنينة سيأخذ منك وقتا طويلا..

فاصبر وكن على يقين.. أنك تستطيع.

سيكون الطريق طويلا جدا يا صديقي..

سيكون متعبا إلى حد الوجع..

ستفكر في التوقف أحيانا.. ستتألم في أحايين كثيرة..

ستقهرك العثرات والعتبات المتواصلة..

سيكون الطريق طويلا يا صديق.. فاصبر..

ولا تنس الكنز الذي تملكه في صدرك..

لا تنس قلبك أبدا..

لا تنس أن قلبك أقوى مما تظن..

لا تنس أنك أقوى مما تعتقد..

لا تنس يا صديق..

وواصل الطريق.

***

تبدأ الأماني منذ اللحظة الأولى التي نأتي فيها إلى الحياة..

في اللحظة الأولى نبكي.. نصرخ.. نبكي بشدة..

هل سبق لك أن تساءلت لماذا نبكي ونحن في لحظات الفرح تلك؟

و نحن في أكثر اللحظات تأثيرا على الوسط المحيط بنا..

تشاهد الأب فرحا فخورا بالطفل لصغير.. فخورا بنفسه.. فخورا بزوجته التي أهدته طفلا وذرية..

تشاهد الأم وهي تعانق روحها بين ذراعيها.. تقبله وتدمع فرحا.. وهي في أكثر لحظاتها ألما..

لكنها تنسى كل شيء بعد سماع تلك الصرخة.. ذلك البكاء..

هل سبق لك أن تصورت أن بكاء أحدهم يحيي الآخر؟

هكذا يفعل بكاء الوليد الصغير بأمه.. تسمعه فتحيا.. تسمعه فتحس بالأمان..

يبدأ كل شيء بصرخة.. ببكاء.. بألم..

يخبرك العلماء أيها الغريب.. أن ألم الأم حين الولادة أصعب بكثير من أن يتصوره ذكر..

ذلك الألم الذي تتبعه الحياة كفيل جدا بتذكيرنا بكل شيء..

هذه الحياة أيها الغريب رفيقة الألم..

و لا حياة دون ألم.. لا حياة دون بكاء.. دون وجع..

هل تتذكر الآن؟.. بدأ كل شيء بألم.. ببكاء.

و هناك تحديدا تبدأ الأماني.. في نفس الغرفة التي ولدت فيها..

تحيط بك هالة كبيرة جدا من الأماني.. هالة ضخمة من الحب..

ذلك العناق الذي يجمع بين الأم ووليدها عبارة عن خليط من الألم والحياة..

ذلك المشهد العظيم.. هيا تذكر معي..

صراخ وليد صغير.. العرق يتصبب من جبين الأم.. تحاول ألا تغمض عينيها من شدة الألم التي عانته..

الصغير يبكي بحرقة دون توقف.. صوت حاااد جدا.. يخترق مسامع المحيطين به.

الأم تحاول أن تبقى على قيد الحياة.. يأتيها أحدهم حاملا بين يديه الوليد الصغير..

كائن رقيق بحجم صغير.. يضعه ذلك الأحدهم في حضنها..

تبكي الأم.. تختلط دموع الألم التي رافقتها طيلة فترة الولادة.. مع دموع الفرح المنهمرة فجأة بعد مخاض طويل.. مخاض عسير..

تحضن الأم ابنها وتبكي.. وهي تقاوم الألم.. وهي تتناسى الألم..

هناك أيها الغريب.. تخيل معي..

الكمية الهائلة من الحب.. لو تم اختراع آلة لرؤية إشعاعات الحب والألم.. لرأينا شيئا مبهرا جدا.. ولربما انفجرت الآلة من حجم الحب المختلط بالألم..

تحضن الأم ابنها هناك والطفل يعود ليسكن شيئا فشيئا.. ينبض قلبه بسرعة.. وبعدها يهدأ قليلا..

يحس الطفل بالأمان فجأة.. يحس بنفسه كأنه في الوطن..

يعلم جيدا أن أمه هي وطنه الوحيد حينها.. لهذا يسكن ويهدأ..

هل تخيلت معي يا غريب تلك اللحظات؟

حين يمتزج الحب بالوجع.. حين يختلط الألم بالحياة..

هناك في تلك الغرفة يا غريب كمية هائلة من الأماني والآمال..

الأب يشاهد المشهد وقلبه ينبض بسرعة معلنا بداية الأمل..

يرى شريط الحياة متوقفا عند مشهد يستحق أن يوضع كلوحة فنية عظيمة بين أروقة بيته.. يراها كل يوم..

و هكذا يقرر أن يجعلها لوحة معلقة في دهاليز قلبه.. ينظر إليها حين ينقطع الأمل..

يأمل الأب أن يعيش بجانب طفله حتى يراه في كل مراحل الحياة..

يتمنى أن تبقى هالة الحب تحيط أسرته الصغيرة حتى النهاية..

الأم تأمل أن يبقى الابن في حضنها.. أن تبقى بجانبه ولا يفترقا..

الطفل الصغير يأمل في الحياة.. يأمل أن يحيا حياة مليئة بالحياة.

هناك يا سيدي تبدأ الأماني.. يبدأ الأمل.. ويعود نبض الحب..

و بعد ذلك تتسارع الأيام وينطلق قطار الزمن نحو البعيد.. مواصلا طريقته..

و في الطريق محطات كثيرة جدا..

في الطريق منعطفات عديدة جدا..

على السكة مطبات وخلل يمكن أن يوقف القطار أحيانا..

حتى يصلح الخلل.. فيعود مسرعا من جديد..

لكن الأماني لا تتركنا أبدا..

نحن يا غريب في كل محطة نتمنى أشياء جديدة.. نريد حياة جديدة..

في كل محطة نبحث عن بضائع جديدة.. عن حب جديد.. عن صداقة جديدة..

في كل محطة.. نفقد أشياء جديدة..

نفقد صديقا ويتركنا قريب ما.. نعاني مرارة الفراق ونعيش ألم البعد..

في كل محطة.. نترك جزءا منا.. ونأخذ جزءا جديدا..

في كل محطة يتغير فينا شيء ما..

هذا الطريق الطويل.. يجعلنا نغير أشياء كثيرة في حياتنا في كل فترة..

نبحث في كل مرة عن الشيء الحقيقي الذي سيحيينا..
تخيل معي أنك كذلك القطار بكل عرباته الثقيلة..
و السكة الطويلة كحياتك العابرة.. ولكل طريق محطاته..
في كل محطة تترك جزءا من عرباتك.. جزءا منك..
ثم ترحب بأجزاء جديدة.. بأشخاص جدد.. أحداث جديدة..
هيا أيها الغريب.. تذكر معي..
كيف حال قطارك.. كيف حال سِكَّتِك.. كيف كان الطريق..
هل الطريق أمامك دون مطبات؟.. دون خلل؟
أم تعاني كثرة العثرات.. شدة الخلل الذي يجعلك تائها من جديد..
هيا.. انظر جيدا إلى قطارك..
هل المحطات الماضية مؤلمة أم أنها كانت عادية جدا؟
هل فقدت أحدا في إحدى المحطات؟.. أم أنك اكتسبت جديدا.. قريبا؟
هيا.. قلب كل شيء أمامك قبل أن تنطلق من جديد..
جدد كل شيء قبل أن تواصل المسير..
انفض عنك غبار اليأس لتواصل بسلاسة.. اترك العربات الثقيلة وراءك..
افتحها واحدة تلو الأخرى..
في كل عربة أشياء عنك.. في كل عربة تفاصيل عنك..
ربما ذكريات.. ربما لحظات عابرة.. ربما جراح أليمة.. ربما أفراح منسية..
هيا تخيل معي..
القطار أمامك.. قطارك الشخصي..
عربات كثيرة تفصل بينها خيوط الأمل..
القطار قطارك.. والعربات عرباتك الشخصية جدا.. لهذا عليك أنت أن تفتحها..

انتظر.. تأكد من كونك قد نفضت غبار اليأس عن قلبك أولا..
لأن اليأس سيثقل كاهلك أكثر مما قد تفعله العربات ..
هيا ابحث في كل عربة عن أشياءك الثقيلة..
ابحث عن الأمل.. عن الحب..
حين تجد العربات الفارغة.. ألقها جانبا.. اتركها هناك وحيدة..
حين تجد العربات التي تحمل يأسك وألمك الأبدي.. افتحها وألقها جانبا..
افتح الصمام التي يجعلها متصلة بالقطار..
هيا تقدم إلى الأمام..
لاحظ الألم الأبدي الذي لطالما أثقلك..
هيا افتح الصمام واترك كل ذلك وراءك..
افتح الآن عربات الذكريات.. هل تتذكر كيف فعلنا سابقا.. حين أتيت بذلك التابوت القديم.. ووجدت فيه كل الآلام؟
نحن نعيد الكرة مجددا..
لأن بباطنك أكثر من تابوت.. أكثر من عربة واحدة تثقلك..
هيا خفف عنك الأحمال لكي تنطلق خفيفا بالأمل..
هيا الآن.. انطلق بقطارك إلى الأمام..
تحسس الطريق ثم اعبر إلى المحطة القادمة..
هيا أيها الغريب.. انطلق خفيفا.. لتعود بأمان..
لقد تركت شيئا مما كان يثقلك..
هيا تنفس عميقا الآن..
هيا انطلق وابحث عنك بين تلك العربات المقفلة.
أحيانا تكون تفاصيل السرور محيطة بنا..
لكننا ومن شدة تيهنا نرجو السعادة من مكان آخر..

ربما ما تبحث عنه يكمن بجانبك..

ربما حولك الآن..

وربما في باطنك.

هيا.. انظر جيدا لما يحيطك..

تأمل بعمق شديد..

وستجد ما يعيد إليك الحياة.

صبر جميل

الدنيا دار شقاء.. الدنيا دار بلاء..

تبتلينا الحياة بكل شيء نملكه..

تبتلينا الحياة بقسوة..

أما سلاحنا الأبدي..

فصبر جميل والله المستعان..

الله هو السند أمام كل بلاء.

﴿ وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [٥]

البشرى لكل صابر مبتلى..

البشرى لكل صابر أعياه الشقاء..

البشرى لكل صابر رغم الألم..

البشرى لكل صابر يحتسب عند الله أجرا.

---

[٥] الآية ١٥٥ ـ سورة البقرة ـ القرآن العظيم

كان رجلا من ذرية الأوفياء.. رجلا من سلالة الثابتين على العهد..

كان رجلا والرجال في هذه الأرض قليل..

ينام وحيدا في زاوية مظلمة في أحد البيوت الوحيدة وسط ازدحام هذه الأرض..

وحيدا عليلا.. مريضا سقيما..

كان مشلولا يعاني من كل شيء.. ولا شيء منه سالم..

سوى لسانه وقلبه..

كان مستلقيا في بيت صغير مهجور.. بعد أن تركه الجميع.. نفر منه الكل..

بعد أن فقد كل شيء يملكه.. كل شيء كان بجانبه لم يعد باقيا..

صار وحيدا..

رجلا وفيا للعهد رغما عن كل شيء..

بجانبه زوجته الوفية.. الزوجة المحبة الثابتة على الطريق المستقيم..

كانت معه منذ البداية..

كانت بجانبه حتى النهاية..

كان هو وزوجته وفيين للعهد.. صابرين رغم البلاء.. رغم الشقاء..

وأي شقاء وأي بلاء..

ألم الفراق وبعده شوق الراحلين.. ثم ألم المرض ويأس الشلل..

كانا معا قويين ببعضهما.. وفيين لعهدهما.. وفيين للحب.

أما عن بداية قصتهما.. فلنعد إلى الوراء قليلا لنعلم عنهما شيئا..

لنتعلم منهما بضع أشياء.. كل الأشياء.

في أحد البلدان.. في أحد الأقطار.. وسط زحام هذه الأرض..

قبل زمن بعيد.. قبل زمن أبعد بكثير.. وسط زحام الزمن..

كان هناك رجل غريب صبور يعيش وزوجته في أمان.. رجل يملك من المال الكثير..

يعيشان في رفاهية..

أنعام كثير وعبيد.. أراضي شاسعة ومواشي كثيرة..

يملكان من الأبناء العديد.. ويحيط بهم من الأهل أكثر الكثير..

يعيشان وسط زحام هذه الأرض.. ورغما عن ذلك كانا وفيين للعهد..

كان الرجل الغريب رغما عن غناه.. لم يفقد الحب في قلبه..

كان يساعد البسطاء.. يتصدق على الغرباء.. يساند المظلومين..

كان رجلا ثابتا على عهده.. على حبه لربه.. حبه للخير..

كانت زوجته هي الأخرى سندا لكل المكسورين..

كانت هي الأخرى معه على الصراط المستقيم..

كانا معا ينشران الحب والأمان في الأرجاء.. يزرعان بذور المحبة في قلوب الصغار.. ينشران رسالة السلام في الأرض..

كان الرجل الغريب دواءا للمجروحين.. بوصلة للتائهين..

ناصحا سندا محبا صديقا للغرباء.. رغم الترف الذي كان يعيشه..

رغم الغنى الذي كان يحيطه لم ينسى أبدا أنه إنسان.. أنه حب..

لم ينسى سبب خلقه.. لم ينسى ربه أبدا..

كان يواصل الطريق الذي كان يمشي عليه أسلافه من الأوفياء..

أجداده الأقوياء..

رجل غريب.. رجل غني غريب.. رجل غني وفي.. رجل وفي للعهد..

رجل غريب.. زوجة وفية..

كانا معا كقصة أسطورية عابرة للزمن والحب.. كانا معا منذ البداية وبقيا معا حتى النهاية..

يملكان ذرية كثيرة.. نسل كثير وبنين كُثُر.. يملكان من الخير والزاد ما لا يملكه أغلب المحيطين بهم..

لهذا رغما عن الثراء الذي يعيشانه.. كانا يحبان البساطة والرحمة..

كانا يتصدقان ويساعدان كل المحتاجين..

الرجل سند لكل المهمومين المحتاجين في الأرجاء.. يقضي حوائجهم ويتصدق عليهم بما أوتي من خير..

و المرأة كانت مرهما لجراح العابرات من طريق الحياة الطويل.. تهتم بكل النساء اللواتي يحتجن مرهما وسندا.. تهديهن ما تستطيع من لباس وأكل وخير..

لم يكن الرجل الغريب وزوجته من الذين اكتفوا بعيش حياة الترف والرغد..

بل كانا يريدان نشر الحب في الأنحاء.. نشر رسالة السلام والأمان..

أن الخير لا يعترف بالغنى والفقر.. الخير في القلوب.. الخير ينبع من الأفئدة العامرة بالحب..

أن هذه الحياة عابرة.. وأن ما نقوم به الآن سينفعنا غدا..

كانا يربيان أولادهما على هذه الرسالة.. على الحب.. على السلام..

أنت أيها الغريب..

كم من فقير لقيته في طريقك يتسول منك صدقة..

كم من عابر سبيل طلب منك خدمة..

كم من مسن أراد منك مساعدة.

فهل فعلت؟

أنت أيها الغريب..

بغض النظر عن مدى ثرائك المادي أو فقرك.. فهذا ليس معيارا لقياس الحب في قلبك..

لأن الثراء ثراء قلب وليس غنى جيب..

و الفقر فقر قلب وليس نقص مادة..

لهذا أيها الغريب تساءل..

كم مرة ساعدت فيها محتاجا؟.. ولو بابتسامة.. ولو بكلمة..

كم مرة كنت فيها مرهما لجرح أحد المهمومين؟

كم مرة كنت فيها سندا لأحد المقهورين؟

ولا تنس أبدا..

أن تساعد الآخرين ليس بالضرورة أن يكون بمادة.. أو مال..

ربما ابتسامتك.. ربما كلماتك.. ربما إحساسك الجميل بالحب..

ربما جلوسك قرب أحدهم يكفي..

ربما ابتسامتك لأحدهم تكفي..

ربما مد يد المساعدة لأحدهم تحييه..

لا تنس أبدا سبب خلقك..

لا تنس أبدا الحب في قلبك..

لا تنس أبدا هؤلاء الغرباء وسط تيه الدنيا..

لا تنس أبدا أن تمد يد الرحمة لكل البائسين..

لا تترك المحبة تموت.. لا تدع الحب يموت أبدا.

كان الرجل الغريب وزوجته وفيين للعهد.. ثابتين على الطريق..

و كما تعلم يا سيدي فالحياة ليست طريق ترف.. بل طريق بلاء..

و لابد لك أن تلاقي عثرات..

و لابد لك أن تتألم.. ولابد لك تتعلم ما الوجع.. ولابد لك أن تعلم معنى الحياة الحقيقي..

و في لحظة.. بعد أن كان الرجل الغريب قوي الجسد صحيح الجسم.. سقط مريضا طريح الفراش..

و كان مرضه مفزعا لدرجة أنه يتزايد كل يوم.. حتى صار غير قادر على الحركة..

فقد الصحيح صحته.. وعاد مريضا..

فقد القوي قوته.. وعاد ضعيفا..

عاد طريح الفراش.. تأتيه زوجته بالأكل والشرب كل يوم..

هل رأيت أيها الغريب..

كيف بالإمكان أن تفقد كل شيء في لحظة..

هل رأيت أن كل شيء سيزول..

أن كل ما تملك قد تفقده في لحظة.. فكن للحب وفيا..

لأن الحب من الأشياء الثابتة.. الأشياء التي لا تتغير..

فقد كل ما كان يملكه ذات يوم.. صحته.. ماله.. أملاكه.. أصحابه..

تركه الجميع وحيدا.. وبقيت معه زوجته فقط..

بسبب المرض الذي ألم به عافه الآخرون وخافوا أن يعديهم.. فهربوا منه..

عزلوه وحيدا.. تركوه وبجانبه زوجته فقط..

لم يكن يستطيع تحريك أي عضو من جسده سوى لسانه وقلبه..

و كان قلبه ينبض حبا لله.. ولسانه حمدا وشكرا على رحمة الله..

كان يتعبد ويذكر الله وهو في حالته تلك..

رغما عن كل المعاناة التي يتجرعها.. رغما عن عدم قدرته على الحركة..

إلا أنه بقي ثابتا على الصراط المستقيم..

كان يذكر الله كثيرا.. كان نبضه ينبض بالحب فقط.. بالإيمان فقط.

يسألونه عن الثروة التي فقدها.. فيجيبهم بكل يقين..

كان كل ذلك لله.. وقد عاد لله.. وكل ما في الأرض لله.. فلماذا أحزن؟

يسألونه عن الأبناء والأهل الذين فقدهم.. فيجيبهم بكل إيمان..
نحن مجرد بشر فانون.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.. فلماذا أنغم..
يسألونه عن الصحة المفقودة.. والمرض الذي حل به.. فيجيب بكل صمود..
بلاء من الله.. والله يبتلي العبد حسب إيمانه.. فكفى به شافيا..
و عساه يكون مغفرة للذنوب.
عاد وحيدا بعد أن كان حوله مزدحما..
عاد مريضا بعد أن كان صحيحا..
عاد طريح الفراش بعد أن كان قويا يطوف البلدان..
عاد شريدا بعد أن كان يملك من الملك الكثير..
عاد ضعيفا دون أنيس ولا صاحب.. بعد أن كان بجانبه الكثير من الناس..
و هو الآن ينام ولا يتحرك فيه شيء سوى قلبه ولسانه..
لكنه رغما عن ذلك بقي وفيا.. يذكر الله كثيرا ويحتسب عنه أجرا..
و الله غالب على أمره.. الله لا ينسى عباده الأوفياء..
في عز مرضه.. ووحدته.. بقيت هي بجانبه.. وفية للحب الذي بينهما..
هل رأيت أيها الغريب..
البلاء الذي يحل بك يكون أحيانا كالغربال..
يتساقط منه كل الذين كانوا يتغنون بالوفاء.. ويبقى الأوفياء فقط..
يبقى الذين يحبونك بصدق ووفاء..
المرض الذي قد يحل بك ذات زمن.. ربما يكون من الأشياء التي تظهر لك معدن الذين من حولك..
أحيانا أيها الغريب..
لا تدري من صاحبك الوفي حتى تشقى وتبتلى..
حينها يتساقط الذين ينقضون العهد.. ويبقى الأوفياء..
لهذا لا تحزن أبدا حين تراهم يغيبون عنك ويتركونك وحيدا..

فقد صرت بعد ذلك تدري الطريق جيدا.. وصرت تعلم من السند والصديق..

و لا تنس أبدا أن تبقى وفيا لربك في فترة مرضك.. لا تنسى ذكره وشكره..

لا تترك الصراط المستقيم.. واثبت عليه أبدا..

و كن من الذين يحبون الله ويحبهم..

و إن أحبك الله يا صديقي.. فأي حب بعده تريد..

إن رضي الله عنك.. فأي رضا تريد بعد.

كن مؤمنا متيقنا أن الله غالب على أمره.. وأن الله على كل شيء قدير..

و كلما كان إيمانك قويا كلما هانت عليك المشقة..

كانت زوجة الرجل الغريب وفية له.. تحنو على من كان لها سندا يوما ما..

تقف بجانبه وتثبته.. وتعينه على ما هو فيه من بلاء ومشقة..

كانت هي التي تعينه على قضاء حوائجه..

تجهز له الطعام فتطعمه.. تنظف ثيابه و تصلح من شأنه..

كانت صابرة محتسبة عند ربها الأجر.. كانت للحب وفية..

كان بإمكانها أن تتركه وحيدا.. لكنها لم تفعل..

كان بإمكانها أن ترحل فحسب.. ولا تلقي لكل هذا الوجع بالا..

لكن لم تفعل بقيت بجانبه وفية صابرة..

كانت أيضا تعاني من الألم الأبدي.. من الشوق إلى أولادها الراحلين..

كانت تئن كل ليلة في صمت وهي تتذكر موت أطفالها الواحد تلو الآخر..

كانت تشاهد بعينها كيف توفي كل واحد منهم بين يديها..

و هي الآن تقف بجانب زوجها هو الآخر وقد اقترب من الرحيل.. وبلغ منه الألم مبلغا عظيما..

لكنها بقيت صامدة.. تذكر الله وتحمده على كل حال.. ثم تواصل المسير..

كانت سيدة وأنثى..

كانت مرهفة الأحاسيس.. لكنها حيت البأس أظهرت القوة التي تكمن بباطنها..

حين البأس أظهرت الشخصية المؤمنة لتقاوم كل الألم..

حين البلاء صمدت وصبرت وشكرت ربها.. وبقيت وفية للحب.

من المبكي حقا..

أن تشاهد صراخ أم فقدت ابنها للتو..

والأكثر وجعا ..

أم فقدت كل أطفالها الواحد تلو الآخر.

أن تفقد كل أطفالك.. فتبقى صامدا..

يحتاج إيمانا عظيما..

و روحا أعظم.

هل تعلم أيها الغريب مقدار الألم الذي تحسه أم فقدت كل أطفالها الواحد تلو الآخر؟

تخيل معي الوجع الذي يحيط بتلك السيدة..

و رغما عن ذلك بقيت وفية صامدة.. وفية للحب والإيمان..

هيا يا صديقي.. تحسس ألمك.. تذكر ما يؤلمك..

و قارنه بما حصل لهؤلاء الأوفياء..

كيف كنت حينذاك؟.. والآن.. بعد أن شقيت وتألمت.. هل صبرت؟

هل احتسبت عند الله الأجر وواصلت الحب والطريق؟

هل بقيت ثابتا على العهد.. رغما عن ذلك الوجع الذي ألم بك؟

هل ما زلت وفيا للحب الذي في قلبك؟

هل ما زلت تواصل نشر العطر الجميل كالعادة.. أم أن بلاء أضعفك وجعلك تترك شغفك.. وحبك؟

هل تعلمت المعنى الحقيقي للحب أم ليس بعد؟

هل تذكرت الشيء الوحيد الذي سيحييك ويبقيك قويا صامدا؟

هيا يا صديق..

انتفض.. تنفس عميقا.. أكثر عمقا.. وتفكر رحمة الله ولطفه..

هيا تنفس..

ثم انطلق بخير.

و لما طال المرض بالزوج الغريب.. و مرت الأيام والسنين..

لم يبق لهما ما ينفقانه وما يأكلانه..

لكن الزوجة لم تظهر شيئا له.. بل خرجت إلى الخارج تعمل بالأجر عند الناس..

رغم أنها قد وجدت صعوبة في البداية..

إلا أنها أصبحت تعمل لدى الأسر الثرية بأجر زهيد.. لكي تأتي في المساء وتجلب لزوجها العليل غداءا وزادا يكفيه ليوم أو يومين..

كانت تقوم بأشغال بيتها أولا ثم تخرج للعمل كل يوم..

كان قوية بكل الضعف الذي يعاني منه قلبها وجسدها..

كان صامدة رغم أن الألم ينخر روحها كل يوم.. لكنها بقيت شامخة ثابتة..

كانت امرأة.. كانت أنثى.. كانت سيدة..

لكنها كانت تعيل بيتها وتعمل بكل ما أوتيت من قوة..

أجل.. كانت امرأة..

لكنها وفية للحب.. صامدة رغم كل شيء..

كانت أنثى..

و كانت تعمل وتعين زوجها في مرضه..

كانت أنثى..

لكنها تحمل كل معاني الرجولة والصمود.. والحب..

كانت أنثى..

و كانت تعمل وتساند زوجها.. وهي وفية للحب بينهما..
كانت أنثى..
و كانت تعمل خارجا.. كانت تعاني قسوة الحياة..
لكنها بقيت سندا لزوجها حين كربه..
كانت أنثى..
تتألم في صمت وتعمل بأجر زهيد.. وفية للعهد الذي بينهما..
وفية للعهد الذي بينها وبين ربها أولا.. ثم بينها وبين زوجها..
و لما خاف الناس أن تقوم بنقل العدوى إليهم..
رفضوا تشغيلها ولو بذلك المبلغ الزهيد.. لأنهم خافوا أن تعديهم..
و طردها الجميع وبقيت وحيدة لا تدري ما العمل..
هناك في البيت زوج طريح الفراش عليل..
و هي وحيدة دون عمل.. دون سند.. دون ملجأ سوى ربها..
لم تجد ما تنفقه ولم تجد ما تطمع به زوجها وإياها..
و لما فكرت وقدرت الأمور..
قررت أن تبيع إحدى ضفيرتيها إلى بنات الأشراف..
قطعت شعرها الغالي.. وباعته إلى بنات الأثرياء.. بثمن بخس..
قطعت الشيء الأغلى لدى كل أنثى..
استغنت عما تملك من أجل زاد طيب تنفقه على زوجها ونفسها..
قطعت إحدى ضفائرها حتى تحصل على طعام..
وباعتها لتأتي زوجها بالطعام والشراب الطيب..
هل تعلم أيها الغريب مقدار الوجع الذي حل بهما.. مقدرا البلاء الذي كانا يعيشانه معا..
و رغم ذلك كانا صابرين.. يحتسبان عند الله الأجر..
كان يذكران الله كثيرا ويحمدانه على كل حال..

كان يعلمان جيدا أن الدنيا دار بلاء ومشقة.. وكل صابر له بشرى.
كانا من الصابرين الأتقياء..

الطمأنينة لكل مبتلى صابر..
الأمان لكل روح متألمة صابرة..
لكل قلب حزين.. وكل فؤاد محزون..
السكينة لأرواحكم أيها الأقوياء..

من الموجع حقا..
أن تقوم امرأة ببيع ضفائرها من أجل الحصول على طعام..
أن تقطع أحلامها من أجل رغيف خبز..
من الموجع حقا..
أن تبيع امرأة شعرها مقابل رغيف خبز يحيي زوجها العليل..
من الموجع حقا..
أن يكون الزوج مشلولا فتأتيه زوجته بطعام اشترته مقابل ضفائرها..
هل حقا تعلم شيئا عن الوجع أيها الغريب؟
هل تألمت يوما؟.. هل توجعت؟.. هل أنت بخير؟
هل حقا نحن بخير أمام هذه الجبال الصامدة؟
فلما أتت زوجها بالطعام.. وكلها أمل أن تفرحه وتعيد إليه الروح..
سألها في المرة الأولى.. من أين لك هذا؟
قالت : خدمت به أناسا.. ولم تكذب.. لأن البيع خدمة..
و خدمت بنات الأشراف بضفيرتها..
و حين لم تجد ما تنفقه مجددا.. عمدت إلى قطع ضفيرتها الثانية..
و عادت لبيعها للأثرياء.. بثمن بخس..

و عادت إلى زوجها بطعام طيب.. لكنه أنكره.. ورفض الأكل حتى تخبره عن المصدر الحقيقي..

كان يعلم.. كان يحس أن شيئا ما سيئا قد حدث..

كان يحس في باطنه أن شيئا موجعا قد حل بزوجته..

و حين لم تجد جوابا قد يرضيه.. استسلمت.. فكشفت عن رأسها خمارها..

و رأى الزوج الصابر الأواب المنظر الموجع..

رأى رأس زوجته حليقا.. دون شعر..

تألم لما يشاهد.. وتوجع أكثر مما كان يفعل سابقا..

كان مشهدا موجعا مليئا بالدموع المنهمرة من أعين أتعبها الألم والوجع..

كان مشهدا مليئا بالأسى والتيه المؤلم..

إحساس زوج يرى رأس زوجته حليقا لأنها تريده أن يعيش..

لأنها تبيع شعرها من أجله.. حتى تجلب له الطعام.. حتى تستطيع الإنفاق..

إحساس زوجة باعت ضفائرها من أجل العيش والمعيشة..

زوجة باعت أغلى ما تملك من أجل الحب..

أحاسيس عابرة للأكوان كانت تحيط المكان والمشهد الموجع..

كانا هناك.. صابرين.. صامدين..

لكن الزوج بعد أن رأى ما رأى.. توجع وتمنى أن يصبر.. لكنه لم يفعل..

أن ترى أقرب الناس إليك يضحي بكل شيء من أجلك..

أن تشاهد رفيق دربك يقطع أحلامه من أجلك..

أن لا تكون قادرا على فعل شيء..

هذا هو العجز الحقيقي.

لكنه كان يعلم أن الله لا يعجزه شيء.. يعلم جيدا أن الله على كل شيء قدير..

ثم حينها..

رفع يديه إلى السماء داعيا ربه..

¤ إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين [٦] ¤

دعا ربه أن يرفع عنه الضر.. أن يرحمه برحمته التي وسعت كل شيء.

هل رأيت أيها الغريب؟

لم يدعو حين كان هو مبتلى.. وحين كان هو المريض المتألم..

كان يصبر ويحتسب الأجر عند ربه..

كان الألم في جسده عابرا بالنسبة إليه.. كان يصبر ويواصل الطريق..

و لما رأى ألم زوجته.. لم يصبر.. فدعا ربه أن يرفع عنه البلاء..

حين شاهد الوجع الذي حل برفيقة دربه..

رفع يديه إلى السماء ودعا الله أن يرحمهما..

ما يؤلمنا أكثر.. ليس الألم الذي يحل بأجسادنا..

بل ما يحل بأقرب الأقربين إلينا..

ما يؤلمنا حقا..

هو رؤية الوجع في أعين حبيب وصديق.

نحن ننسى ألمنا بكل بساطة أمام ألم الأحبة..

نحن نخفي أوجاعنا في لحظة..

أمام دمعة من عين قريب للقلب.

سلاحنا الأبدي وسط دوامة الوجع والأسى..

هو الدعاء..

و اليقين بأن الله لا يتركنا أبدا.

---

[٦] الآية ٨٣ – سورة الأنبياء – القرآن العظيم

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ[7]

فاستجبنا..

كلمة تحمل كل الكلمات وكل الحياة..

فاستجبنا..

عن ذلك الإحساس حين تسمعها.. وهي تخصك..

عن إحساس عظيم أن يستجاب لك دعاؤك..

فاستجبنا له..

عن ذلك الشعور يا الله..

عن تلك المكانة والمرتبة..

فاللهم استجب لنا.. وتقبل منا..

اللهم استجابة لكل الدعوات والأماني..

اللهم استجابة.

رفع الدعاء إلى السماء.. واستجاب له ربه دعاءه..

استجاب الله لعبده الصابر الدعاء فكشف عنه الضر والبلاء..

بعد صبر جميل وصمود طويل..

بعد إيمان قوي وصراط قويم..

بعد يقين عظيم وطريق مستقيم..

بعد بلاء شديد و حب عظيم..

بعد شقاء عابر ورب كريم..

رفع عنه البلاء.. وعاد صحيحا معافى.. عاد جسده بخير..

تقبل الله منه الدعاء بعد أن صبر..

---

[7] الآية ٨٤ – سورة الأنبياء – القرآن العظيم

بعد أن كان مضطرا.. استجاب له ربه وشفاه وأعاد إليه قوته..

و لما دخلت عليه زوجته لم تعرفه.. لأنه عاد قويا بعد أن كان عليلا ضعيفا..

و أخبرها أنه زوجها.. وقد رفع الله عنا البلاء.. فاشكري له واحمدي له..

تهلل وجهها فرحا ورفعت يديها إلى السماء شاكرة..

هل تذكرت هذه القصة أيها الغريب..

هل تعرفت على هذا الغريب.. هل تعرفت عليه..

هذه هي قصة الصبر العظيم.. والعبد الصبور..

نعم هي كما تفكر.. هذه قصة النبي أيوب عليه السلام..

قصة يضرب بها المثل في الصبر أمام البلاء.. والثبات على الصراط المستقيم..

هذه قصة نبي ابتلاه الله بلاءا عظيما.. فصبر وشكر..

و كان جزاؤه عظيما..

نعم كان نبيا.. من سلاسة الأنبياء.. من سلاسة الأوفياء..

كان خليفة لله على هذه الأرض.. وكان نعم الخليفة..

كان نبيا.. وكان يعاني قسوة الحياة..

كان نبيا.. وكان يقاسي مرارة الدنيا..

كان نبيا.. لكنه ابتلي البلاء الأعظم..

كان نبيا.. وكان امتحانه شديدا..

كان نبيا.. وكان طريقه وعرا جدا.

نعم يا سيدي.. كان نبيا..

لكنه كان صبورا أوابا..

كان مؤمنا شاكرا لربه على كل حال..

كانت حياته درسا عظيما في الصبر..

بعد كل ذلك الألم حل الأمل ليعيد الحياة لحياته..

بعد كل الوجع تقبل الله دعاءه وكشف عنه ضره.. وعاد حيا مفعما بالحياة..

و كان جزاء الله عظيما..

و الله على كل شيء قدير أيها الغريب..

رفع عنه المرض وشفاه شفاء عاجلا.. ثم رد إليه صحته وقوته..

بل أعاد له كل شيء فقده.. الواحد تلو الآخر..

عادت الأرض والأملاك.. عادت المواشي والأموال..

عاد كل شيء كما فقده من قبل..

لأن الله عظيم على شيء قدير..

بل رزقه الله الأولاد مجددا.. رزقه الله البنين والأهل الكثير..

رزقه الله الخيرات التي فقدها.. بعد صبر جميل..

بعد صبر وشقاء.. جزاه الله الجزاء الأوفى..

بعد أن كان وفيا للعهد.. وجد عند الله الخير الكثير..

و الله لا ينسى عباده الأتقياء.. الله بكل شيء عليم..

عاد الرجل الغريب إلى طريق الحب ليواصل الحب..

لأنه لم يفقده أبدا.. لأنه وفي ثابت على صراط الحب القويم..

عاد لنشر السلام في الأنحاء كما علمه الله وثبت في قلبه..

عاد ليحيي الأرض والأهل المحيطين به بحبه الوفي..

عاد الرجل الغريب بعد أن كان عليلا ليكون سندا لكل المظلومين..

عاد ليكون مرهما للمجروحين.. بعد أن كان جريحا طريح الفراش..

عاد ليكون حبا على الأرض..

عاد ليكون رحمة وأمانا للآخرين..

أيها الغريب..

لقد كانت رحلة مؤلمة بكل الأمل.. موجعة بكل الحب..

هل رأيت كيف يجازي الله الأوفياء؟

هل رأيت كيف يثبت الأوفياء على طريق الحب؟

كيف لا يتزعزع الحب في قلوبهم؟

كيف لم ينكسر الأمل بباطنهم.. وبقي الإيمان سلاحا لهم؟

هل رأيت قدرة الله وعظمة أقداره؟

كيف يمكننا أن نفقد كل شيء في لحظة؟

و كيف يرزقنا الله كل شيء في لحظة؟

كيف تلتهم نيران الألم كل شيء فينا؟

و كيف يحيي الإيمان كل شيء فينا وحولنا؟

هل رأيت؟

مهما كنت وفيا لحبك الأبدي لله.. مهما كان جزاؤك عظيما..

مهما كنت ثابتا على الصراط رغم كل الاهتزازات.. مهما جزيت خيرا..

مهما كان قلبك ينبض بالعشق والإيمان.. مهما كنت بخير..

مهما كنت قادرا على تجاوز كل العثرات أمامك.

أيها الغريب..

كيف حال قلبك؟.. كيف حال روحك؟

كم من قريب واريته التراب وبكيت بجانبه حتى تألمت عيناك..

كم من ملك فقدت وحزنت عليه كثيرا..

كم من مال خسرت وعدت مكتئبا لا تكلم أحدا..

حقا يا غريب..

كم من مرة سقطت طريح الفراش.. وشفاك الله بعد زمن قصير..

كم مرة رأيت فيها حبيبا وهو يتألم من شدة المرض الذي حل به..

كم مرة كنت بجانب صديق أو قريب وهو على فراش الموت..

كم مرة يا غريب تألمت فيها وأحسست بالوحدة..

حقا أيها الغريب..

وسط كل ذلك.. هل كنت متيقنا بأن الله سيجعلك تخرج من ذلك بخير؟

هل كنت مؤمنا أن كل ذلك خير لك؟.. وأن ما خفي من أقدار الله أعظم؟

هل كنت بخير حقا؟

أيها الغريب..

كيف حال قلبك.. كيف صرت..

كيف حال رحلتك..

هل أحسست ببعض الضيق.. أم أن نسيما عليلا يداعب قلبك..

هل تحس بتلك الطمأنينة العابرة..

هل تحسست قلبك.. ووجدت شيئا من الأمان..

هيا افعل ذلك.. هيا قم بذلك بحب.. وواصل رحلتك بحب..

هيا تنفس بعمق من جديد..

أنت تعلم جيدا أنك حين تتنفس بعمق.. تحس بالحياة تتسرب إلى باطنك..

الهواء الطيب يحيي صدورنا..

و الحب الصافي يحيي أفئدتنا..

و اليقين يجعل أرواحنا ساكنة..

لذلك تنفس جيدا..

ثم واصل الرحلة بكل أمل.

مدارنا الخاص جداا

لكل منا مداره الخاص جداا..

لكل منا وطنه الخاص جداا..

طفل صغير كان يتمنى أن يلتقي بطلا خارقا ذات يوم..

كان ذلك من الأماني التي يكتبها كل يوم في كراسة الدراسة.. وهو يشاهد كل الأبطال الخياليين في شاشة تلفاز أو بين غلافي كتاب وقصة..

و لما كبر اكتشف بشكل موجع جدا بعد فوات الأوان..

أن أمه كانت بطلة خارقة..

أن أباه كان بطلا خارقا..

اكتشف أنه كان يعيش معهما وهو لا يدري كل الأشياء الخيالية التي كانوا يقومون بها من أجله..

الأشياء التي لم يقدر عليها أحد آخر سوى أمه..

الأحمال الثقيلة التي لم يستطع أحد حملها من أجله سوى أبوه..

يقف هناك أمام أبدية الرحيل.. وجثث والديه..

وقف فوق جثة أمه.. تحسس يدها.. لامسها ودق قلبه بسرعة..

ثم انهمرت من عينيه الدموع..

قبل أن يقلب ناظريه شمالا.. ليشاهد جثة أبيه وهي مستلقية بجانب أمه..

تأمل المشهد الموجع.. ورجع قليلا للوراء.. تنهد ثم صرخ صرخة خرجت من باطن آلامه المهولة..

يأتي أحدهم ليربت على كتفه..

لكنه قد رجع نحو زاوية مظلمة.. وصار ككومة من الألم والدموع..

لا يكاد أحدهم يلمسه حتى تنهمر دموعه..
لم يكن يتوقع أبدا هذا الرحيل المفاجئ.. لم يتوقع أبدا كل هذا الوجع..
كان قد حدث أمه قبل زمن في اتصال هاتفي..
أما أبوه فقد مرت طويلة لا يتذكر المدة تحديدا..
لأنه كان بعيدا عنهما.. لأنه كان يجري بعيدا باحثا عن حياة للحياة..
باحثا عن أبطاله الخارقين.. عن شيء مما يعتريه من أحاسيس..
و قد مرت طويلة جدا لم يعانق فيها أمه.. ولم يحضن فيها أباه..
هو الآن يقف أمام الجثتين.. بل لا يكاد يقف.. لأنه لا يقدر..
و ربما لأنه يحس بشيء من الذنب.. من تفريطه في لحظاتهما.
يتذكر خروجه الأخير من المنزل.. وعينا أمه تئنان شوقا..
و أبوه صامد بكل رقته أمام الرحيل..
يتذكر الآن تلك اللحظات وهذه اللحظات..
لقد رحل قبل زمن.. ولما عاد وجد الجثث فقط.. ورحلت الأرواح..
لقد عاد.. لكنهما لن يعودا أبدا..
و ربما ستبقى آثارهما بادية في محياه.. وسط صدره الجريح..
يجلس بجانب الجثتين.. ثم ينتفض يحملهما هو وأقرباؤه نحو المقبرة..
يودعهما التراب.. ويغلق عليهما قبرا مظلما..
ثم يقف أمامهما مودعا.. باكيا.. عابرا بكل غربته..
كان في المقبرة يتأمل كل الحاضرين.. ولا يرى أحدا منهم بعين حاضرة..
كان هناك بينهم غائبا بكل حضور الجسد..
كان يود لو يسقط بجانب أبويه وسط قبريهما.. وسط كل تلك الأبدية..
يحمل التراب بيديه ويلقيه عليهما.. وهو يودعهما بكل تشبثه..
و لما أنهى كل مراسم الدفن.. ومراسم الوداع الأخيرة..

انهمر الدمع منه مجددا..

و خارت قواه.. لكنه تشبث قليلا.. لم يكن يريد لأبويه أن يرياه بكل ذلك الضعف في وداعهما الأخير..

لم يكن يريد أن يخون كل وصاياهما.. أن يبقى ثابتا وفيا..

لهذا تشبث وقاوم كل الانهيار..

وقف هناك صامدا بكل ضعفه.. وفاءا للوصية الأبدية لوالديه..

أراد أن يكون وداعه لهما صمودا لا وهنا.. لعلهما يفتخران به..

تركهما هنا في حفرة ضيقة.. ثم ولى خارجا من المقبرة..

ولى مودعا لهما والشوق ينهك جسده.. لكنه بقي صامدا.

في الطريق نحو البيت.. كان يتأمل الطرقات.. يتحسس الذكريات..

و يلاحظ كل اللحظات العابرة.. من نفس الأمكنة.. بكل الغياب.

و لما دخل البيت.. أحس بوحدة مرعبة وسط كل الزحام في بيته..

رغما عن كل هؤلاء الأقربين حوله.. لكنه أحس بوحدة اجتاحت كيانه..

دلف الغرفة صامتا.. أغلق الباب وراءه..

ثم سقط مغشيا عليه بالدمع.. منهارا بكل دموعه..

فاجأته الذكريات مجددا وهو يمسح دمعه..

كان هناك معطف أسود معلق خلف الباب..

بجانبه فستان بنفسجي وشال رمادي يراوده عن نفسه.. لعلهما يرجعان للحياة..

تأمل المنظر.. صمت ومسح دمعه.. تنهد قليلا..

تذكر ذكريات المعطف وهو يمشي بجانبه حيا إلى المدرسة.. وربما نحو السوق الأسبوعي..

الفستان البهيج وهو يشم رائحة الحب فيه.. رائحة أمه..

فستان لطالما كان مفعما بالحياة..

و الآن يلاحظهما وهما باليين كأنهما أيضا متوجعان من الفراق..

الحب الأبدي

هل من تعريف آخر للحب غير المعتاد؟

يمكن تعريفه في كلمة..

أمي.

أمي هي أحد الأبطال الخارقين الذين لا نراهم في التلفاز كثيرا..

أمي هي أقوى الأبطال الخارقين..

صغيرا كان في حضن أمه.. كبيرا كان أمام الآخرين في الخارج..

مرهف الأحاسيس كان وهو يعانق أمه..

ثابتا كأنه صخرة بدون أحاسيس.. كان يراه الناس في الخارج..

كان يرجع طفلا صغيرا وهو بجانب أمه..

ثم يلبس لباس الكبر وهو أمام الجميع وسط العالم الخارجي..

كان يعيش كل تفاصيل البراءة وأمه تجهز له الأكل.. كانت تحيطه بدائرة الدلال..

و كان هو يتدلل بكل ما أوتي من قوة..

و كان يراه الرفاق وسط الشارع دون أحاسيس.. كانوا يرونه شخصا لا يعرف كيف يعبر عن نفسه..

كانت هناك أمه.. وكان هو طفلا بجانبها مدى حياتها..

كانت هناك أمه.. كانت هناك أمي..

المرأة التي تجعلنا أطفالا طوال حياتنا.. نكبر حتى يشيب الرأس..

فنعود صغارا في حضنك يا أمي..

تتراكم حولنا الظلمات ونجد النور في عناق وابتسامة منك..

يحيطنا اليأس من كل جانب.. وحين نسمع كلمات منك.. نصبح كالطير في سماء الحياة..

نحن نحيا بحبك يا أماه.. نحن نحيا بك..

هل تذكرين قطعة الحلوى التي كنت تهدينني إياها وأنا ذاهب إلى المدرسة..

ما زلت أتذكرها.. وأشتاق إليها كثيرا..

هل تذكرين وقوفك أمام الباب تودعينني.. إني أشتاق لذلك كثيرا..

إلى رائحة القهوة صباحا وأنت تجهزين الفطور كأنك سيدة أوركسترا كبيرة تجهزين معزوفة أسطورية..

لقد كنت أنت المعزوفة الأسطورية يا أمي..

أنت المعزوفة التي أسمعها فأفرح وينبض قلبي بالحب .. والشوق

أنت تلك المعزوفة الأسطورية التي لا يأتي مثيل لها أبدا..

إني حقا أشتاق يا أمي..

أشتاق إلى حضنك الدافئ.. إلى قبلة على جبيني.. تخبرينني أن أنام بخير..

لم أعد أنام بخير يا أمي..

لقد صرت أفتح عيني حتى يمر منتصف الليل.. والليل بأكمله..

و لا أنام بخير يا أمي..

لقد صار الأرق رفيقا.. وصرت أخاف من النوم.. لأني سأتذكر التفاصيل مجددا..

لكنني حقا اشتاق..

إلى تلك البساطة.. إلى ذلك الجمال..

إلى حضن المساء وحضور الأماني.. إلى عناق الصباح ورائحة الأمل..

إلى قبلة الأيام وابتسامة الزمن..

إليك يا أمي..

هل أكتب إليك؟.. هل أنتهي من الكتابة حين أكتب إليك؟
أما القلم فيخبرني أن حبره لا ينتهي أبدا حين أكتب إليك.. وعنك..
أما القلب فحين يسمع اسمك.. ينبض معلنا عن ثباته وشوقه الأبدي..
أما الزمن فقد طار بعيدا عني..
أما الأمل فقد كان بجانبك دوما.. وقد اشتقت إليك حقا..
هل تكفيني الكلمات؟.. هي تكفي الكتب والروايات.. لأعبر عن الحب..
عن الشوق.. عنك يا أمي..

الظل الأبدي

عن ذلك الظل الأبدي الذي يبقى بجانبنا حتى النهاية..

عن السند والجدار الحامي..

عن الأمان الذي نتحسسه منذ الصغر..

عن أبي.

لقد أخبرتني ذات مساء.. أن الشغف هو الشيء الأهم في حياتنا..

لقد أخبرتني ألا أترك شغفي أبدا ما حييت..

لأن الشغف هو ما يدعني حيا..

أخبرتني ألا أجري وراء فتنة هذه الدنيا وأن أعيش حياتي بكل الحياة..

إني أتساءل الآن يا أبي..

هل فعلت كما أوصيتني.. أم أنني خنت كلماتك وصرت مبللا بماء النهر..

نهر الحياة الذي يشق أدغالها بكل ما يحمله من فتن..

هل حقا أنا وفي للشغف يا أبي..

إني الآن على حافة الحلم يا أبي.. إني قد كافحت موت الحلم..

قاومت كثيرا لكي لا ينتهي فائض الشغف الذي يغمرني..

ما زلت أقاوم يا أبي..

ما زلت أحاول عبور الجسر الطويل أمامي.. ولا أتجرأ أبدا..

هل يجعلني الشغف أحلق عاليا.. تساءلت حينها.. ذات مساء.. قبل الوداع..

أريد أن أطمئنك يا أبي..

لقد حلقت كثيرا كما أخبرتني.. وصرت كالطير أرى الحياة من فوق..

أداعب الريح بأجنحتي.. وأرقب الغيوم بكل الأمل..

إني الآن على حافة الحلم يا أبي..

إني الآن قد كبرت كثيرا.. وربما قليلا.. لكني قد عدت أشبهك كثيرا..

تخبرني أمي بذلك..

هل حقا كنت أنت أيضا واقفا على حافة حلمك تشاهده بعيدا.. وتنظره عن قرب؟

أم أنني كنت حلمك؟.. هل حقا كنت حلمك الوحيد يا أبي؟

ما الحلم حقا يا أبي؟

لطالما تساءلت وأنا أقلب الأماني التائهة وسط دفتر حياتي..

لقد مرت الأيام بسرعة حتى صرت أخاف من نهاية طريق الحلم الطويل..

صرت أخاف أن أبقى دون حلم.. دون شغف.. دون حياة للحياة..

لربما أفهم أن الحلم هو شيء يجعلنا نواصل الطريق رغما عن البؤس الذي يحيط بنا من كل جانب..

ولربما هو نفس الشغف الذي يبقينا أوفياء للحلم.. ولربما هو هذا الطريق الطويل أمامي.. الذي أخاف أن أمشي فيه وحيدا دون ظلك الأبدي..

أنت يا أبي كظل طويل يبقى معنا ما حيينا..

منك تعلمنا ما الحلم.. كيف الحلم.. ولماذا الحلم..

عن طريق مشاهدتنا لك وأنت تواصل المسير ونحن بجانبك.. ووراءك.. كالحمل الثقيل الذي يثقل الكاهل..

لكنك رغما عن ذلك واصلت حمل شمعة الأمل حتى وصلنا هذه النقطة..

حيث أخبرتنا أن الشمعة لابد لها أن تبقى معنا نحن.. لأنك ربما ترحل قريبا..

هل كنت تعلم يا أبي أن تلك اللحظة أقسى من الفراق..

تلك اللحظة حين وضعت الشمعة في أيدينا الصغيرتين.. وأخبرتنا أن نواصل المسير.. أن نواصل الطريق نحو الحلم..

لقد جددت الأمل في القلب وجهزت الزاد لنا.. وقلت أنه زاد قليل لا يكفي طوال الرحلة.. لأنه من اللازم علينا أن نجد ما يحيينا..

أن نبحث عن أنفسنا بين أرصفة الحياة ودهاليز الدنيا المظلمة..

هل حقا كنت تعلم أن ما ينتظرنا قاس ومرعب جدا؟

لا أظنك قد جهلت الأمر.. لأنك قد مررت من نفس الطريق وإن تغيرت الأوصاف إلا أن الطريق واحد.. مرعب ومظلم..

و أعتقد أن الشمعة التي وضعتها في قلوبنا كانت بسبب الظلام الذي كنت متأكدا أننا سنلقاه هنا.. بين الظلال ووسط الظلام.

إني الآن على حافة الحلم يا أبي..

إني الآن على هاوية الطريق المؤدي إلى الحلم..

إني الآن على بعد أمتار قليلة من انطفاء الشمعة التي أهديتني إياها..

لقد حافظت عليها طوال الطريق.. لأنني لطالما خبأتها في قفص صدري..

أمشي أحيانا في الظلام دون نور..

لأنني لم أكن أريد أن ينتهي النور الذي أتى من قلبك..

لم أرد ترك جزء منك ينقضي بتلك السهولة يا أبي..

لقد كان الطريق مظلما جدا.. مرعبا بدونك.. مخيفا دون ظلك.. دون نورك..

أما عني.. فقد صرت أشبهك كثيرا..

صرت نسخة منك.. أصبحت واقفا هنا وسط الممرات أرقب ظلك..

لقد صار ظلي يشبه ظلك يا أبي..

أم أنه ظلك أنت الذي بقي معي.. حتما هو ظلك.. حتما أنا أنت..

إن هذه الدنيا العابرة قد أخذت مني أجزاء كثيرة مني..

بقي مني القليل منك فقط يا أبي..

و القليل مني فقط..

هل اقتربت النهاية.. هل سينتهي الحلم بهذه السهولة.. بهذه القسوة..

بكل الأمل الذي كان يداعب روحي..

بكل الأمان الذي وجدته تحت ظلك الأبدي..

أيها الظل الأبدي.. فلتبق بجانبي حتى يفنى الظلام..

فلتبق هنا كالأمان حتى ينتهي الأمان..

فلتكن كالأمل في قلبي..

فلتحيا وسط صدري حتى تزول الأرض..

أيها الظل الأبدي..

لا تتركني وحيدا أبدا أمام رعب هذه الدنيا..

لا تدعني أنسى الحب.. ولتدعني أحيا..

لا تتركني وحيدا يا أبي..

و إن رحلت يبقى ظلك أبديا..

تبقى آثارك هنا بين تفاصيل حياتي..

أيها الظل الأبدي..

لقد اشتقت إليك كثيرا.. إني أتحسس جانبي كل يوم.. أبحث عنك..

أبحث عن الحب الذي تركته في فؤادي..

أتحسس الشغف الذي تعلمته منك..

يا أبي.. إني أحاول أن أبقى وفيا كما وصيتني.. صامدا كما عهدتني..

أيها الظل الأبدي..

لا ترحل أبدا.. ولا تغب عني زمنا..

إني أحن إلى حضنك.. إلى ابتسامتك.. إلى يدك..

أحن إلى كل الأشياء التي ندمت على عدم استغلالها بالشكل الكافي..

و لن يكفي أبدا.. ولن أكتفي أبدا..

نحن لا نكتفي منك أبدا يا أبي..

لهذا أطلب منك ألا تتركني وحيدا.. لأنني سأكبر كثيرا بعدك.. وقد كبرت..

سأشيخ بسرعة بعدك وقد بدأت أشيخ..

أيها الظل الأبدي..

فلتبق هنا بجانبي حتى النهاية..

حتى تفنى الظلال وينتهي الأمر..

حتى يوضع نقطة لنهاية على السطر..

حتى يؤذن لنا بالرحيل.. بالوداع.

عتمة الليل

تحت عباءة الليل حكايا عابرة..

بين تفاصيل الظلام نبض تائه..

وسط الظلام قلوب تحتاج شعاع نور..

شعاع أمل.

أما الظلام فالنور وحده يقتله..

و الطريق من الظلمات إلى النور طويل..

الليل يا سيدي كلحاف أسود يغطي تعب النهار..

الليل يا سيدي غطاء للنهار..

الليل موطن الأحزان..

الليل يا سيدي لحاف أسود يغطي آلام الغرباء..

هناك تحت أجنحة ظلام الليل..

أنين لا يسمع.. وحزن لا يرى..

هناك قلب يدمع في صمت.. روح تبكي بحرقة.. تبكي وحيدة..

تبكي في أحد أزقة الحياة الضيقة..

تحت سقف أحد بيوت الدنيا المظلمة.

هناك يا سيدي..

تحت ظلال الليل المظلم.. قلوب تائهة تشاهد السماء..

تشاهد نور النجوم.. وتلتحف السماء.. تشاهد تلك النجوم..

لعلها ترد البوصلة التائهة إليها..

ترى القمر وتقع في غرامه.. والغرام بعيد عنهم..

ترى القمر وتتمنى أن يداعب جمال أرواحهم.. أن يحييهم ولو قليلا..
أن ينير الدرب المظلم أمامهم.. يرجون.
الليل يا سيدي.. يخفي بين ظلماته أحزانا..
كمية مهولة من الوجع..
الليل يا سيدي.. عباءة سوداء.. تغطي عمق الجراح..
يغطي كبرياء المقهورين..
هناك يا سيدي..
هناك بين ظلام الليل وسواده..
سيدة في الأربعين من عمرها..
تعانق وحدتها في صمت.. وتئن في وجع..
تحضن شوقها للابن وتبكي مصيرها..
هناك يا سيدي..
تحت جناح الليل الأسود.. في غيابة بئر الدنيا المظلم..
تتذكر الحرمان الذي طالها.. تتذكر ابنتها الراحلة..
أو ابنتها التي لم تأتي أبدا..
تبكي وحدتها.. تعزي نفسها بنفسها.. تبكي في صمت.
يتقطع قلبها حزنا ووجعا.. تبكي في صمت.. خوفا وأملا..
خوفا من إيقاظ أحزان أحرى مدفونة في العمق المظلم من قلبها..
خوفا من جراح قد تتجدد..
خوفا من نفسها عن نفسها..
و أملا في سرور قادم.. أملا في أمل يحييها..
أملا في حياة للحياة.
تعانق ألمها.. تتحسس أملها بقلبها.. وتنتظر..

تنتظر في وجع.. على عتبات الحياة..

تنتظر في ألم.. على أرصفة الطريق الطويل.

هل تنصفها الحياة يوما؟

هل يحس بها الآخرون؟

هل يعلم أحد ما أخفاه الليل؟.. ما ستره الظلام من بكاء؟

هل يتحسس أحد فؤادها؟

هل يرى أحدهم ألمها قبل أن يحدثها بكلمات تعيدها إلى بئر الأحزان من جديد؟

هل نرى تلك الظلال خلف عينيها؟

هل نحس بشيء من ألمها.. من الوجع الذي احتل أعماقها؟

هل هي حقا بخير؟

هل نحن حقا بخير؟

أين أنت يا سيدي الآن؟

كيف حال قلبك.. كيف حالك.. هل أنت بخير؟

هل شربت قهوتك المرة مجددا؟

اكتشفت أخيرا أنها مرة أليس كذلك؟

أضفت بعض السكر.. هل صارت كما تريدها؟

هل صارت لذيذة؟

يا سيدي..

كيف كان عشاؤك.. ألم يعجبك العشاء اليوم؟

هل عانقت أمك يا سيدي اليوم؟

قبلت يد أبيك؟

هل مازحت أختك مجددا؟.. وأخوك.. هل ما زلت تضايقه ويضايقك؟

هل فعلت كل هذا اليوم يا سيدي؟؟

هل شكوت إلى أحدهم التيه الذي أنت فيه؟

هل شكوت عملك.. دراستك.. حياتك.. إلى أحدهم؟

هل فعلت كما تفعل كل مرة؟

هل استمع إليك أحدهم؟.. هل أخبرك أن الأمر يصير بخير؟

أن كل شيء سيعود بخير؟

و ما الذي يضايقك حقا أيها الغريب؟.. يا سيدي..

هل أنت بخير؟

كيف حال قلبك؟

هل أنهيت قهوتك؟

هل تذكرت قهوتك الآن؟.. هل تذكرت كل هذا؟

هل تغير الطعم أم أنك ما زلت غير مبال؟

أخبرتك يا سيدي..

أن الليل يخفي بين سواده حكايا تائهة.. أحزانا غابرة..

و أوجاعا كتب عليها أن تبقى حبيسة زنازين القلب المقهورة..

هناك يا سيدي.

تحت جناح الليل الأسود..

بين أروقة الدنيا المظلمة..

هناك يا سيدي..

تحت أحد الجدران المنهكة وسط المدينة.. أو خارجها.. من يدري..

هناك.. جدار قلب قد تم هدمه بالكامل..

هناك.. روح تم تحطيمها دون شفقة..

هناك يا سيدي..

فؤاد منكسر.. مكسور تائه.. لا يعلم أحد مقدار التيه الذي تعاني منه.

رجل يقرب من العمر الخمسين..

نائم دون لحاف.. سوى أن الليل المظلم لحافه الوحيد..

رجل بسيط يا سيدي..

أشيب الرأس.. نحيل الجسد.. تائه النبض.

تراه فتنفر منه.. تراه فتكره منظره.. لماذا؟

ربما لأنك تراه في الشارع دوما دون بيت أو سقف يحميه..

تراه يا سيدي نهارا..

كريه الرائحة.. منظر خبيث.. وصمت عميق..

ربما أحيانا تسمع منه بضع كلمات متقطعة لا تفهم منها شيء..

فتخلص إلى أنه مجنون.. هكذا ببساطة يا سيدي..

الجنون دائرة نلقي فيها كل شيء لا نفهمه..

تراه نهارا يا سيدي.. حين تظهر العيوب على محياه..

حين يبحث عن حياة لجسده..

حين يدور عن شيء يعيد الطاقة لأعضائه..

رجل بسيط يا سيدي..

الرصيف فراشه والليل غطاؤه.. الطريق سريره والسماء لحاف له..

الجدار المنهك بيته.. وبيته قلبه..

نعم يا سيدي..

كان رجلا بسيطا قبل هذا أيضا..

يعيش في أمان بجانب زوجته وأبنائه..

يعيش بسيطا..

ما الذي حدث؟

كبر أبناؤه.. وشاب رأسه.. وتاه النبض ..
كبر أطفاله يا سيدي.. وكبر هو ضعفا مضاعفا..
طردته أسرته الصغيرة من البيت إلى دار عجزة ما..
طردته زوجته وأولاده.. لأنه لم يعد قادرا على العمل..
لأن صار كالعاهة يثقل كاهلهم.. لهذا يسقطون كل حمل ثقيل يثقل سفينتهم..
لم يعد قويا كما كان يا سيدي..
خارت قواه وضعف جسده.. لكنه يحب رغما عن ذلك..
طرده الأقربون.. طرده الأحبة.. فكيف تريده أن يصبح..
صار تائها يا سيدي بين الظلال.. غريبا في الدنيا..
صار غريبا في الطرقات..
غريبا على الرصيف..
غريبا في الحياة..
غريبا حتى عن نفسه..
لأنه لم يتحمل معيشة دار العجزة.. لأن قلبه المحطم لا يستطيع التقبل..
لم يصدق ولا يريد أن يصدق أن الذين ألقوه هنا أقرب الأقربين..
لم يرد أبدا أن يصدق.. لهذا فضل أن يعود غريبا تائها..
تسأله عن حاله فيجيبك بكلمات غير مفهومة..
تسأله يا سيدي.. طبعا إذا توقفت للحظة لتسأل..
ثم تنفر منه هاربا كارها حالته.. وربما تاركا بعض السباب في الهواء..
من يدري يا سيدي..
أي ثقب أسود يحيط بالرجل وقلبه.. أي الأحاسيس تحوطه..
من يدري يا سيدي..

هل كان مذنبا؟.. من يدري..

ربما كان قبل ذلك..

هل يستحق؟.. أنت أخبرني يا سيدي..

هل يستحق ذلك الوجع؟

هل يجازى لذنب اقترفه قديما؟

و إن كان الأمر كذلك..

ألا يستحق أن نكون نحن يدا تستطب على كتفيه؟

تخبره أن الوجع سيمر.. أن الدنيا بخير..

ألا نستحق نحن يا سيدي؟

ألا نستحق أن نكون أخيارا.. أن ننشر الحب؟

أن نكون الحب.

أخبرني يا سيدي..

كيف صارت قهوتك.. هل أنهيتها؟

طلبت شايا..

هل هو كما طلبت.. ألم يصبح مرا هو الآخر؟

ماذا عن لحافك سيدي.. هل غطيت قدميك جيدا؟

البرد شديد أليس كذلك..

لا.. تحس بالحر الشديد..

هل تحب الصيف أم الشتاء؟.. هل تحب البرد أم الحر؟

يا سيدي.. هل أنت بخير؟.. كيف حال نبضك؟

يا سيدي.. كما ترى.. ورأيت..

الليل المظلم.. مظلم حقا يا سيدي..

هذا الليل عميق جداا.. كل ذلك الظلام ليس عاديا أبدا..

كل ذلك السواد ليس بسيطا.. ليس شيئا هينا..

هل لاحظت يا سيدي؟

هل لاحظت كمية الوجع التي يسترها جناح الليل؟

ما أخبرتك به الآن مجرد قطرة من محيط مظلم.. مجرد ومضة من ليل طويل..

و تحت عباءة الليل آلام مكثفة.. قلوب محطمة وأرواح منكسرة..

هل شاهدت؟.. هل رأيت؟

لا تظنن يا سيدي أن الحكايات تنتهي.. حكايات الليل لا تنتهي أبدا..

آلام الليل وأنينه لا نهاية لها..

حطام القلوب.. وآثار الجراح.. وظلمة الطريق.. هذه الأشياء لا تنتهي..

قلوب محطمة..

قلوب منكسرة..

قلوب غائبة رغم الحضور.. ميتة رغم النبض..

أرواح تائهة يا سيدي..

أرواح مجروحة إلى حد كبير.. متروكة بين دهاليز الحياة..

أرواح غريبة يا سيدي..

لا تنتهي الآلام أبدا يا سيدي.. لا تنتهي..

لأن الألم كما الغربة.. مصير.

نعم يا سيدي.. الألم رفيق وفي في هذه الحياة.. رفيق دائم..

يغيب أحيانا.. ويحضر في أحايين كثيرة..

يتركنا لوهلة حتى نستجمع ما تشتت.. فيعود مجددا..

ليذكرنا أن هذه الرحلة رحلة صعبة مؤلمة..

و أن الليل أطول مما تعتقدون..

الليل والألم يا سيدي رفيقان..
الليل يستر آثار الألم أحيانا.. ويكون عباءة لآلام المقهورين أحيانا..
و يكون شاهدا على تكون الجراح الجديدة.. يشاهد ويلحظ كل شيء..
الليل أحيانا يكون مرهما وراحة للمتألمين..
يكون كالحضن التي يحضن القلوب المحطمة.. فتبكي بين جناحيه..
تبكي القلوب بين جناحي الليل كل يوم..
تدمع الأفئدة وتئن.. والليل يحضنها ويعانقها..
هيا يا سيدي..
دعنا معا نحدث بعض التغيير.. دعني وإياك نفعل شيئا جميلا وإن كان هينا في نظر الآخرين..
و لكن تأكد أن لمسة لطيفة على أكتاف كل بائس هي حب..
كل ابتسامة في وجه مقهور ما هي حب عظيم..
كل لمسة يمكنك القيام بها فلا تتردد أبدا.. وانشر الحب.. كن الحب.
و في هذا الصدد.. أود حقا أن أمسك بيدك فنفعل شيئا جميلا معا..
دعنا معا نكتب كلمات طيبة لكل هؤلاء الغرباء.. وربما تكون كلمات تحييك أنت أيضا.. عبارات تعيد إليك الحب..
دعني أمسك بيدك.. فنكتب معا شيئا من الحب..
نضعه معا في مغلفات مغلقة.. ثم ننشر الحب معا..
هيا أيها الغريب.. هل أنت بجانبي؟.. هل أنت معي في هذا الطريق؟
هل توافق على المسير؟.. على الحب العابر لكل الأوطان؟
هيا يا غريب.. دعني أمسك يدك.. أعانق روحك.. فنكتب معا..
سنكتب معا شيئا من الحب.. لمسات حب نضعها في مغلفات..
ثم نتركها معا قرب كل الغرباء التائهين..

نضعها هناك في يد أحد هؤلاء الذين أعيتهم الحياة بكل الألم..

هيا إذن يا صديقي..

أمسك يدي.. دع روحك جانب روحي.. لنكتب معا.. لنحيا معا..

هيا يا صديق..

كن أنت الحب وسط كل الكراهية التي أتعبت الأرض..

كن أنت النور وسط كل هذا الظلام..

هيا يا صديق..

فلنكتب معا.. ولننشر الحب..

دعني أذكرك مسبقا..

سأترك لك بضع مغلفات فارغة.. لتكتب فيها أنت لوحدك ما يغمر قلبك..

هي بضع مغلفات.. اكتب فيها شيئا من الحب.. بعضا من الأمل..

و ربما تضعها في يد أحد الغرباء.. وربما أحد الأقربين.

المغلف ا

ولعل الألم الذي أحاط بك..
يحمل بين طياته خيرا دفينا..
ربما الوجع الذي يحيط بك الآن..
هو قحط يتبعه ربيع مزهر..
فلا تترك ياقة الحب أبدا..
لا تنس أنك جميل بحبك..
لا تنس أبدا أنك جميل رغما عن كل شيء..
لا تنس أن الجمال شيء فطري..
و أنت جميل بفطرتك الطيبة..
فلا تنس جمال حبك أبدا.

المغلف ٢

كلما أحسست بالتعب.. تحسس قلبك..

تنفس عميقا..

انظر حولك.. تأمل جيدا..

ثم ابتسم..

و ابق جميلا.

أنت متوهج جدا..

أنت شغوف للأبد..

أنت جميل للأبد..

لا تنس أن تخبر نفسك كل صباح بهذا.

المغلف ٣

رائحة الوحدة تفوح منك..
ملامح اليأس بادية على وجهك..
هالة سوداء تحيط بك أيها الغريب..
هل أنت حقا بخير؟
دع شعاع الأمل يتسرب إلى داخلك..
دع جذور الحب تغطي قلبك وأزهر..
أزهر بالحب والأمل يا غريب.

المغلف ٤

كن أنت الأمل الجميل على هذه الأرض..

كن أنت الحب الوفي في طريق الحياة..

كن أنت رحمة لمن حولك.. ولنفسك..

دع أزهارك تتفتح بالحب..

و انشر عطر الرحمة في الأرجاء..

كن أنت أنت يا صديق.

المغلف ٥

رغما عن الفراق الموجع الذي قد يحل بك..

رغما عن الهجران المؤلم الذي ألم بك..

رغما عن ندبة عابرة توسطت صدرك..

رغما عن الجرح البادي على محياك..

رجاء لا تلعن الحب.. رجاء لا تنس الحب..

لأن الحب لا ذنب له أبدا..

الحب بريء من كل ذلك..

لأن الحب مرهم وليس جرحا..

وكل الذي آلمك ما هو إلا شبيه حب فقط..

لذلك لا تلعن الحب.. وكن أنت الحب..

لا تترك جانبك الطيب أبدا.. لا تدع الظلام يحتل كيانك..

وكن أنت النور رغما عنهم..

كن الحب رغما عنهم.. رغما عن هؤلاء الذين هجروك..

رغما عن الذين تركوك وحيدا..

كن حبا.. كن أملا.

المغلف ٦

و قد تظن أنك منسي..

لكن الله يراك ويسمعك..

و حين تظن أنك وحيد..

فالله يحيط بكل شيء علما..

يسمع أنينك.. ويراك..

فكفى به سميعا يسمعك..

و كفى به سندا.

المغلف ٧

في حين أنك لم ترى شيئا جميلا اليوم..

أنت الجمال..

أنت جميل.. فلا تنس ذلك أبدا.

ابتهج.. أنت تصبح جميلا حين تبتسم..

البهجة تجعلك جميلا.

المغلف ٨

﴿وَلَنْ تَجِد مِنْ دُونه مُلْتَحَدًا﴾[8]

لن تجد من دون الله ملجأ..

فالله هو الملجأ الوحيد الثابت لكل أحزانك.. وأفراحك..

الله هو ملجأك الوحيد وسط كل الظلام الذي يحيط بك..

الله هو ملجأ كل محزون..

الله هو ملجأ كل منسي تائه..

الله هو الملجأ الأبدي لكل الغرباء.

فلا تنس أبدا..

أنك لن تجد من دون الله ملجأ..

لن تجد من دون الله ملتحدا.

[8] الآية ٢٧ – سورة الكهف – القرآن العظيم

المغلف ٩

﴿ يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴾ [٩]

الأشياء التي فقدتها سيعوضها الله بعد حين..
الأحبة الذين رحلوا عنك سيرزقك الله خيرا منهم..
الأشياء التي حزنت كثيرا لفقدانها.. لتأتيك أشياء خير منها..
وكلمة الله هي العليا..
ووعد الله كان مفعولا..
ثق بالله وواصل الطريق بأمان..
لا تحزن على الفقدان.. ولا تنغم للهجران..
لا تترك الندبات بادية في روحك..
لا تنس أن الله سيؤتيك خيرا مما فقدت..
الله قادر على تعويضك بأشياء لا تتوقعها..
أشياء تصبح أفضل بكثير مما أخذ منك.. مما فقدت..
لهذا لابد لك أن تؤمن.. أن تكون متيقنا..
لابد لك أن تثق في الله.. أن تضع كل شيء بين يديه..
وتواصل الطريق.

---

[٩] الآية ٧٠ – سورة الأنفال - القرآن العظيم

المغلف ١٠

وسط دوامة الأوجاع التي تحيطك..

من بين كومة العثرات التي ألقيت عليك..

ابحث في قلبك عن النور الذي سيخرجك من كل ذلك..

ابحث عن الحب الأبدي الذي تخفيه هناك..

ابحث عن نفسك بين ذكرياتك الغائبة..

تذكر نفسك الجميلة..

تذكر حبك الجميل..

تذكر جيدا..

ابحث جيدا وستحيا بخير.

المغلف 11

أنت يا سيدتي..

نعم أنت.. أنت أقوى من كل الصدمات التي تعرضت لها..

أقوى من كل الجراح التي آلمتك..

أقوى من كل الصعوبات التي تواجهك في طريق الحلم..

أقوى من كل الآلام التي تحيط بك..

لأنك يا سيدتي..

تستطيعين تجاوز كل ذلك.. لوحدك فقط..

لا تحتاجين أحدا.. سوى الله.

اعلمي أن سندك الوحيد هو الله..

سلاحك الأكبر هو إيمانك القوي..

الله هو ملجأك.. الله هو سندك الوحيد..

لا تنسي ذلك أبدا.

المغلف ١٢

أنت رجل بسيط.. لكنك وفي ومميز..
لا تدع أحدا يحتقرك أو يقلل من قيمتك..
لأنك مميز جدا..
أنت مميز بالحب الذي يكمن في قلبك..
مميز بالوفاء التي يحيط كيانك..
أنت مميز لأنك تحمل قلبا جميلا..
أنت مميز لأنك ذو روح طيبة..
لهذا لا تترك كلماتهم تحطمك.. فأنت مميز جدا..
ليس بالضرورة أن تملك أشياء عابرة مثلهم..
بل أنت تملك أشياء أبدية.. كالحب.. كالأمل..
لهذا فأنت مميز..
لا تنس ذلك أبدا.

المغلف ١٣

لا تتوسلي الحب من أحد..
لا تنتظري المحبة من أحد..
كوني أنت الحب والمحبة..
كوني أنت الابتسامة والسعادة..
كوني أنت الإنسانة الجميلة بداخلك..
لا تنتظري أبدا أن تصبحي الحل البديل لأحدهم..
بل كوني أنت الحب لنفسك أولا..
كوني الصديقة لقلبك أولا..
الطمأنينة لروحك أولا..
كوني أنت نصفك الثاني.

المغلف ١٤

لا تنتظر الحب من أي أحد..

لا تقف هناك منتظرا إحداهن لتحييك..

بل كن أنت الحياة..

كن أنت الحب..

كن أنت الشخص الجميل الذي ينشر الحب..

كن أنت الإنسان الطيب لنفسك..

كن مرهما لجراحك وندوبك..

كن أنت دواء لكل داء ألم بقلبك..

لا تنتظر أحدا.. لا تكن نصفا.. بل كن أنت بكاملك..

لا تكن نصف حب.. ولا تنتظر نصف مشاعر لتكتمل..

بل أنت بنفسك كاملا.. كن أنت نصفك الثاني أولا.

المغلف 15

إن الله يحبك..

فقط تخيل عمق الكلمة.. فقط تخيل..

إن الله يحبك بكل ضعفك وسوءاتك..

يحبك وأنت إليه تائب بكل ذنوبك..

يحبك حين تحبه..

إن الله يحبك..

فقط تأمل عمق الكلمة.

المغلف ١٦

المغلف ١٧

المغلف ١٨

المغلف ١٩

المغلف ٢٠

سراب

نحن عبارة عن مجموعة مشاعر بعثرها الزمن..

نحاول البحث عن مستقر لها..

عن حائط أبدي يجمعها..

ما أنا سوى روح فانية على بعد حياة منك..

ما أنا سوى قلب مرهف قد يتوقف في لحظة فألقاك..

ما أنا سوى سراب..

نراه في البداية بارزا.. وفي لحظة يختفي كأن لم يكن..

ما أنا سوى روح على بعد حياة منك..

ما أنا سوى فان على بعد موت منك..

ما أنا سوى أنا.. والأنا لابد لها من نهاية.

ما أنا سوى سراب..

تراني حينا عامرا بالحب.. وحينا يغمرني الشوق..

تراني أشع بالعشق في أحايين كثيرة.. وفي بعض الأوقات ترى ظلمتي الأبدية.

أنا سراب.. سراب عامر بالأمل..

أنا شعاع الأمل الذي تراه في يوم ممطر..

أنا خط الزهور التي تلحظها وسط صحراء قاحلة..

أود الرحيل كثيرا.. والسراب يجذبني إلى البقاء.. كي أبقى سرابا..

تمنيت الذهاب بعيدا.. والحنين لا يترك ياقتي..

وددت الصراخ.. وددت أن أطير..

هل يستطيع الإنسان أن يطير بسهولة؟

هل يستطيع إخراج أجنحته الخفية بسلاسة وبراعة؟
هل حقا أقدر على رؤية أجنحتي المنكسرة يوما ما؟
أضمدها.. وأعيدها بخير..
ثم أطير.. وأطير كطير تعلم التحليق لتوه..
أسقط أحيانا لأقف طويلا.. لأعلم طعم الوقوف بعد الوقوع..
أطير كفراشة خرجت من شرنقتها حديثا..
فأبحث عن الحياة وسط البساتين المزهرة.. وسط الأزهار العطرة..
أطير كنحلة تقلب الأرجاء باحثة عن شيء تفرح به ملكتها..
فأجد اللقاح الذي قد يحييني بعد أمد طويل من التعب..
أطير في السماء.. فأعود سرابا.. كأني قد ولدت حديثا..
أعود نقيا كثوب أبيض صافي اللون..
أعود بأجنحتي سالمة..
أعود بخير كأني لم أتعب أبدا.. كأني لم أحزن يوما..
أعود أنا أنا.. بكل الحياة.
هل حقا يبدو الأمر سهلا؟
هل أستطيع أن أعود بخير؟.. أتساءل هنا على حافة التيه الأبدي..
هل أرى أجنحتي سالمة كأنها قد خرجت للتو.. كأني بخير مجددا؟
هل حقا أطير مجددا كما كنت أفعل حين صغري.. حين الأمل؟
ها أنا أتوقف عن الحياة بعد كل الحياة التي كانت تضمني..
و ها أنا الآن واقف وسط دهاليز مظلمة.. أتساءل بكل جوارحي..
ما الذي كسر أجنحتي حقا.. حتى صرت هكذا؟
أجنحتي لا تقبل الضماد بعد الآن..
لقد تم اقتلاعها من جذورها.. تم اغتيالي كل الأحلام بكل عزيمة.. وألم.

لم أتعلم بعد كل شيء عن الطيران.. والحياة..

لم أطر بما يكفي.. وتم اقتلاع أجنحتي..

لكنني هنا أبحث مجددا عن الطريق الأزلي الذي يمر من القلوب المحطمة ليحمل عنها بعض الأسى فتعود مزهرة..

و في طريق البحث أعلم جيدا أنني سأفقد كثيرا.. شيئا من الطاقة المتبقية.

سيمضي كل شيء

لا تنس قلبك أبدا.. لا تنس أن قلبك أقوى ما تظن..

لا تنس أنك أقوى مما تعتقد..

لا تنس يا صديق..

وواصل الطريق.

سيمضي.. هذا الذي تمر منه سيمضي..

الكرب الذي يحيطك سيمضي..

الحزن الذي يجتاحك سيمضي..

الفرح الذي تعيشه سيمضي..

سحابة الظلام التي تراها أمامك ستمضي..

كل شيء حتما سيمضي..

أيها الغريب..

أعلم أن الحياة متعبة حد الوجع.. وأعلم أنك تحاول بكل ما أوتيت من قوة..

هل تساءلت يوما.. لماذا ما زلت تعيد نفس الشيء كل يوم دون ملل؟

تأتيك تلك الأوقات المفزعة حيث تقف وسط الطريق متأملا..

ماضيك العابر.. حاضرك الغائب.. ومستقبلك البعيد..

تتأمل كل شيء وتتنهد وحيدا وسط الطريق كأنك تخاف مما قد يأتي.. بعد كل هذا الألم.

لكن يا صديقي.. لا تنس أبدا أنك أقوى مما تعتقد..

لابد لك حين تقف وسط الطريق تتأمل.. أن تكون متأكدا أن هذه الدنيا.. دنيا بلاء وألم..

لابد لك أن تعترف بذلك وتتيقن منه بكل جوارحك..

هيا قلب أفكارك فيما حدث وما يحدث..

ستجد كمية هائلة من الوجع تحيط بك.. الفراق المؤلم يكثر يوما بعد يوم..

الطعنات الغابرة تأتيك على حين غفلة ودون أي استعداد منك..

يأتيك الألم أحيانا على شكل ذكريات.. على شكل أشباح الراحلين..

وأحيانا يأتيك على شكل فراق..

أحيانا على شكل مرض.. وأحيانا فقدان ما تملك..

وما تملك يا صديقي لابد لك أن لا تتعلق به كثيرا..

وهذا من أهم القوانين التي من اللازم عليك أن تعرفها لتواصل الطريق..

الحياة ستبتليك بما تملك.. بما ستفقد.. وكلما كان ما تملك غاليا.. كلما كان الألم كبيرا.

هيا يا صديق..

قلب دفتر حياتك بين يديك.. تعرف على الأشياء الغالية التي تملكها.. ضعها أمام عينيك.. قلبها الواحدة تلو الأخرى..

تأكد أيها الغريب.. أنك ستفقد كل هذا ذات يوم.. ذات لحظة..

تأكد أن كل ما تملك فان.. كما أنت.. راحل لا محالة..

وفي طريقنا هذا دعني أحكي لك قصة غريب.. حكاية عابر سبيل بين ممرات الزمن البعيد..

يحكى أن غريبا كان يجول البلدان ويعبر الوديان والطرقات المختلفة..

كان هذا قبل زمن بعيد..

لم يكن يملك شيئا سوى ما يحمله على ظهره من متاع..

غريبا كان يطوف البلدان ويلتقي الغرباء.. يستمع إلى الحكايات التائهة..
ينطلق في أرجاء الدنيا كعابر سبيل في كل الأقطار.. يستضيفه الغرباء..
ويتاجر أحيانا بما يملك من بضاعة.. ثم ينطلق مجددا إلى كل البلدان المختلفة

وفي إحدى رحلاته.. توقف في قرية من القرى المطلة على الوادي..
أحد الأنهار المعروفة في المنطقة..

كانت القرية على طريقه.. وكان قد تعب من رحلته.. لم يأكل شيئا منذ زمن..
فداهمه الجوع ونقص زاده..

فتوقف هناك وحدث الناس عما أصابه.. وطلب بعض الطعام.. إن كانوا يملكون شيئا يضيفونه به..

لكن الناس قد اعتذروا لعجز قد ألم بهم .. لا يملكون سوى ما يسدون به رمق العيش.. وزاد اليوم..

لكنهم أخبروه أن في البلد رجلان ثريان معروفان.. يملكان من المزارع والأموال الكثير.. وبإمكانهما استضافة الرجل الغريب دون أي مانع..

وصل الرجل الغريب إلى باب أحد الثريين.. أمام بيته الكبير.. توقف يتأمل المزارع الشاسعة.. والبيت الكبير.. والخدم كل بدوره.. كل بمكانه الخاص..
سأل عن المالك.. وأشاروا إلى مكانه.. وانطلق إليه.. ثم حدثه بمشكلته..
رحب به الرجل الغني.. واستضافه في بيته.. وأكرمه أحسن إكرام..
أثناء تناولهما الطعام في الصباح التالي..
قال الرجل الغريب : " فلتحمد ربك لأنك غني هكذا.. ولتشكره "..
أجابه الرجل الغني إجابة واحدة تحملك الكثير من المعاني:
" لا شيء يبدو كما هو أيها الغريب..
ربما ما نراه الآن كالسراب.. في لحظة يختفي..

و هذا أيضا سيمضي "..

هم الرجل الغريب بالمغادرة.. وشكر الغني على حسن الضيافة ثم انطلق..

وفي رأسه إشارة استفهام.. ما الذي يقصده الغني بكلامه..

كيف سيمضي هذا.. ماذا بالإمكان أن يحدث..

ثم انطلق يشق الطرقات كعادته باحثا عن الحياة.. تائها في الحياة.

أنت أيها الغريب..

كم مرة استضفت فيها عابر سبيل..

كم مرة مددت يدك لتائه في هذه الدنيا..

هل قمت بمساعدة جائع ذات يوم.. ولو برغيف خبز؟

هل أنت وفي للحب حقا؟

وسط الجري المتواصل نحو الحصول على الأموال والأملاك..

هل لاحظت يوما هؤلاء العابرين بين الطرقات؟ هل مددت يدك لهم يوما؟

وسط التيه الذي تعيشه أنت..

هل تساءلت يوما..

عن هؤلاء الغرباء الذين يتيهون كل يوم.. الذين يعيشون البؤس كل يوم؟

حقا أيها الغريب..

هل سيمضي كل هذا البؤس؟

أحيانا غريب ما من مكان ما.. في زمن ما..

قد يعلمنا أشياء عظيمة..

لا نتعلمها من أقرب الناس إلينا.

تأتينا دروس الحياة أحيانا على شكل أشخاص..

على شكل أحداث..

على شكل غرباء.

بعد مرور عام..

عاد الرجل الغريب ليمر من قرية صديقه الغني..

ذهب إلى بيته.. لكنه وجد البيت فارغا ولم يجد أحدا هناك.. واحتار مما يفعل..

فسأل أهل القرية عن الرجل الغني الذي استضافه ذات يوم قبل عام..

وأجابوه..

الرجل الغني فقد ثروته.. فقد كل ما يملك من مزارع وأموال..

وهو الآن يعمل مزارعا في إحدى مزارع الرجل الغني الثاني في البلدة..

وأشاروا إلى بيته.. هناك في الأحياء الفقيرة..

كان يقطن صديقه الذي كان غنيا قبل عام.. وصار فقيرا الآن..

صار خادما عند الغني الثاني..

حزن الرجل الغريب لمصاب صديقه.. وانطلق يبحث عنه..

لما وجده.. فرح به الصديق الذي كان غنيا وعاد فقيرا..

فرح واستضافه في البيت الفقير..

وهذه المرة ليست كالمرة الماضية.. تأمل الرجل الغريب حال صاحبه..

من قصر إلى كوخ..

من رجل يملك مزارع في أنحاء القرية.. إلى رجل لا يملك شيئا..

من مالك مزرعة.. إلى خادم في مزرعة أحد آخر..

تأمل الرجل الغريب تبدل الحال والأحوال.. والحزن باد على وجهه..

يقلب عينيه في المكان..

ويتأمل صاحبه.. الذي فقد كل شيء سوى ابتسامته..

تأمل تلك الراحة التي الواضحة في عيني الرجل الغني الذي صار فقيرا..

ثم سأله :

" كيف وصلت إلى هذه الحالة يا صاحبي؟ ".

ابتسم الصاحب و تنهد قليلا.. ثم قال :

" كنا نعيش كما تركتنا.. نملك كل شيء وأنا أعلم أنني قد أفقده في لحظة.. وهذا ما حدث..

أتى النهر بكل ما أوتي من قوة.. فدمر كل الزرع والمزارع..

سيل مفاجئ جاء ذات ليلة.. فماتت كل البهائم والكائنات التي كنت أملكها..

في لحظة أيها الرفيق.. فقدت كل شيء..

وصار كأنه لم يكن يوما ".

حزن الرجل الغريب لما سمع قصة صاحبه.. وبدت في عينيه ملامح الأسى..

لكن الصاحب الغني.. الذي عاد فقيرا.. تابع حديثه :

" لا تحزن يا صديقي.. وهذا أيضا سيمضي ".

صمت الرجل الغريب.. وهو يتساءل في سره..

من أين يستمد هذا الرجل كل هذه القوة..

ليواجه كل هذا الفقد بهذه الأريحية..

كيف يواصل المرء الحياة بهذه البساطة بعد بؤس حل به..

من أين يستمد صاحبه هذه القوة..

أن تفقد كل ما تملك شيء محتم..

لكن أن تواصل الطريق بنفس القلب.. بنفس الحب..

أن تواصل الحياة مطمئنا..

فهذا يحتاج قلبا عظيما.

انطلق الرجل الغريب في الصباح الباكر كعادته.. يشق الطرقات الغابرة..

و يغيب بين ظلال الدنيا..

انطلق يواصل رحلته التي تمر من أغلب البلدان.. باحثا عن الحياة..

يلاقي في طريقه من الغرباء الكثير.. ويجالس من التائهين ما لا يحصى..
لكن الحزن لما أصاب صاحبه قد يرافقه حتى العودة..
و هو يتساءل..
حقا.. كيف يواجه الإنسان البؤس الذي يحل به..
كيف يقاوم المرء موت قلبه.
من سنن الحياة..
أن تفقد أغلى ما تملك.. وأحب الأشياء إليك.
أمام كل فقد.. أمام كل رحيل..
ضع يدك على قلبك.. وتحسس نبضك..
و أخبره بكل يقين..
كل شيء قدره الله بقدر.. فلا تحزن.
أنت أيها الغريب..
كم مرة فقدت فيها أشياء تافهة.. فحزنت تبكي..
كم مرة فقدت فيها مالا قليلا.. فعبست وصرت تشكي همك لكل العابرين..
كم مرة عدت خالي الوفاض من تجارة ما.. فتكدرت..
كم مرة فشلت في اجتياز امتحان ما.. فصرت بائسا..
هل حقا أنت بخير أيها الغريب؟
هل حقا بؤسك الحالي يستحق أن تحزن من أجله كل هذا الحزن؟
هل الأشياء الفانية التي تملكها.. والتي فقدتها..
تستحق منك أن تظلم قلبك وتبكي ليلا حزنا عليها؟
تساءل معي.. ثم تأمل..
رجال فقدوا كل ما يملكون.. لكنهم صبروا وواصلوا الطريق بحبهم..
أناس عادوا فقراء بعد ثراء.. لكنهم ما زالوا أوفياء على الصراط المستقيم..

ما زالوا أوفياء للحب.. لأنهم يعلمون جيدا السر الحقيقي وراء هذه الحياة..
لا تحزن على ما فقدت.. ولا تتكدر على ما أصابك..
قف وقاوم موت الحلم في قلبك.. حارب موت الحب في قلبك.
واصل الحياة بكل الحب.. رغما عن الفقد..
واصل بكل الأمل.. رغما عن كل اليأس.
بعد مرور سنوات طويلة..
بعد رحلات طويلة عاشها الرجل الغريب.. بعد زمن طويل..
أعاده الطريق الطويل للحياة إلى بلدة صاحبه مجددا..
تأمل الحال والأحوال.. تأمل تغير الناس وتبدل الطرقات..
وتساءل مجددا عن صاحبه..
سأل الناس والمارة.. وأجابوه وأخبروه بما حدث في السنوات الماضية..
في أحد الأيام.. توفي مالك المزارع التي يعمل فيها صاحبه..
توفي الرجل الغني الثاني في البلدة..
ولأنه لا يملك وريثا يرث ثروته.. ترك كل شيء لخادمه.. والمزارع الذي يعمل بجد في مزارعه..
هنا عرف الرجل الغريب ما حدث حقا..
ورث صاحبه كل تلك المزارع من المالك التي صار تحت التراب..
فرح لأن صاحبه استعاد ثروته.. وعاد غنيا من جديد..
وانطلق يبحث عنه..
فرح به الرجل الذي عاد غنيا من جديد.. وحضنا بعضهما..
استضافه من جديد..
و قد تغير كل شيء مجددا منذ الزيارة الأخيرة..
من كوخ إلى قصر..

من فقر إلى ثراء من جديد..
من عمله كمزارع إلى كونه مالكا للمزارع..
من خادم إلى مالك.. عاد مجددا إلى ثروته..
تأمل الرجل الغريب كل ذلك.. وابتسم وكأنه اكتشف المعنى الحقيقي لما كان يقول صاحبه في كل مرة..
أن كل شيء سيمضي.. كل شيء سيزول..
وتساءل:
" لقد فرحت حقا وسعدت يا صديق..
عدت ثريا بعد فقرك.. عدت ثريا كما كنت من قبل..
أفرحني هذا الشيء كثيرا ".
ابتسم رفيقه وهو جالس يتأمل كل الأشياء أمامه.. وكأنه جوابه واضح ومكرر.
" كما أخبرتك يا رفيقي من ذي قبل..
وهذا أيضا سيمضي.. هذا أيضا سيزول يا صاحبي ".
فكر الرجل الغريب في الأمر مجددا واحتار..
وفي الصباح الباكر غادر من جديد..
متابعا الرحلة الطويلة للحياة.. رحلة نحو الحياة.. نحو العدم.
لا تدع الفرح ينسيك ألطاف ربك..
لا تدع هالة السرور التي تحيطك تنسيك شكر الله..
لا تدع قلبك ينسى أن ينبض حمدا لربك..
حين تصاب بنكسة..
حين تقع في هاوية البؤس.. وحفرة الأحزان..
تذكر جيدا..

أنك تستطيع مواجهة كل ذلك بحبك الثابت..
أنت ستعبر ذلك الجسر بروحك الطيبة..
تذكر جيدا..
أن قدرة الله أعظم من كل بلاء.. ومن كل حزن.
في طريق الحياة الطويل..
نصاب بابتلاءات لا حصر لها.. وفي كل بلاء حزن وشقاء..
نحزن ونأسى على حالنا..
ولكن حين نتأمل الأمر من زاوية ما..
نجد أن ذلك الشر يملك في باطنه خيرا دفينا..
أن كل الفقد الذي ألم بنا.. ما هو إلا خير نعرف سره بعد زمن..
كل الأشياء التي نملكها الآن ربما تحمل شرا.. لهذا نفقدها..
وربما تحمل خيرا.. ونفقدها لتمتحن قلوبنا.. أنصبر أم نكفر..
أنواصل الحب.. أم نكون جزءا من الظلام..
أنستحق الخير حقا.. أم أن الظلام في باطننا يسيطر..
ولعل صبرنا وسكينة قلوبنا حين البأس.. قد تعود علينا بكل الفضل..
لأننا قد نكتشف بعد حين أن ما حدث خير..
وأن ما أصابنا فيه خير لنا ..
حينها نتأمل ونصمت.. ثم نشكر الله على ما حدث..
لأن الله غالب على أمره.. الله على كل شيء قدير..
بوسعه أن يعيدك فقيرا بعد ثرائك..
بوسعه أن يغنيك بعد فقرك..
فقط لأنه الله.. لأنه على كل شيء قدير..
و هو رحيم لطيف..

لولا لطفه لأحاطك البؤس طيلة حياتك..

لولا لطفه لما خرجت من مستنقع الظلام الذي وجدت نفسك فيه..

لولا لطف الله لصرنا من الغابرين..

لولا رحمته.. لما جبرت قلوبنا بعد انكسارها..

لولا رحمته.. لما ضمدت جراحنا بعد نزيفها..

لولا رحمته.. لما واصلنا الحياة بأمان.. بحب.

مرت السنين والأعوام..

و كعادة الرجل الغريب.. أثناء مروره من البلدة.. سأل عن صاحبه الوفي..

و كعادة الناس.. أشاروا إلى مكانه..

و هذه المرة أشاروا إلى أعلى التل جانب النهر..

تعجب الرجل الغريب.. ما الذي حدث هذه المرة.. وماذا قد يفعل صاحبي في أعل التل.

تعجب وحار.. ثم تقدم و وصل المكان المشار إليه.. وهناك ذهل مما رأى..

في أعلى التل توجد مقبرة.. وهنا فهم الأمر.. فقد رحل الصاحب والرفيق..

قلب ناظره في الأرجاء.. ولاحظ القبور.. يبحث عن قبر صاحبه..

و حين لمح الكلمة المعروفة.. كلمة صاحبه..

"وهذا أيضا سيمضي"..

تعرف على قبر صاحبه من خلال الكلمة المكتوبة على حجر قبره..

حزن الرجل الغريب ودمعت عيناه لفراق صاحبه.. و وقف هناك يتأمل القبور وطيف الموت يحيطه..

ثم تساءل مجددا..

ما الذي سيمضي بعد هذا؟.. لقد مات وانتهى الأمر.. وتوسد جسده التراب.. فما الذي سيمضي بعد؟

بعد سنوات.. عاد مجددا ليزور قبر صاحبه..

و لما وصل مكان المقبرة.. لم يجد شيئا.. بل لم يجل أي مقبرة..

سأل الناس.. والإجابة كانت..

مر النهر بكل قوته فدمر كل القبور .. أخد معه كل الجثث.. وبقي نصف التل فقط..

هناك فهم الرجل الغريب الحكمة مما كان يقوله صاحبه..

وهذا أيضا سيمضي..

و قد مضى جسده إلى الأمكنة الغابرة.. وصعدت روحه إلى السماء..

و رحل عن الدنيا.. تاركا كل شيء وراءه..

لأنه بكل بساطة..

هذه الدنيا أيضا ستمضي..

هذه الحياة ستمضي..

هذه الأرض ستفنى ولو بعد حين.

حقا أيها الغريب..

كيف حال قلبك؟.. كيف حال روحك؟

هل أنت بخير؟.. هل قلبك ما زال ينبض بالحب؟

هل ما زلت تنتظر تلك النهاية.. التي ستداهمك ذات لحظة مفاجئة؟

هل ما زلت تحزن على فقدان الأشياء الفانية؟

أخبرني أيها الغريب..

ألا تتعلم أبدا.. أن كل شيء سيزول.. كل شيء فان..

أن حياتك ستمضي.. شئت أم أبيت..

عملك سينتهي ذات يوم.. دراستك ستصل إلى نقطة نهايتها ذات لحظة..

الذين حولك سيرحلون ذات وجع..

أحبتك سيتركونك ذات فقد..
ستعود وحيدا كما كنت منذ البداية..
فلماذا أنت منغم حزين هكذا..
هيا انفض عنك غبار الأسى.. وتقبل الأمر بكل جوارحك..
كل شيء سيمضي..
الألم أيضا سيمضي كما يمر السرور..
الوجع الذي يحيطك الآن سيزول في لحظة..
الانطفاء الذي يعانيه قلبك في لحظات الحياة العابرة.. سيزول في لحظة..
التيه الذي تعيشه كل مرة.. سينتهي ويحل مكانه اليقين..
فقط إن قمت الآن وقاومت..
فقط إن تقبلت الأمر بكل كيانك.. وقلت بكل جوارك..
أنا فان.. أنا راحل ذات يوم.. وما يبقى سوى أثري..
و هنا تساءل مع نفسك.. ما الذي ستتركه بعدك؟
هل أنت وفي للحب.. فيسمى الحب باسمك؟
هل تنشر الحب في الأرجاء.. ليتذكرك الجميع كعطر يفوح أبدا؟
هيا يا صديقي..
لابد لك أن تتقبل الأمر بكل الحب.. بكل الأمر..
لابد لك أن تنسى الألم.. لتكون أنت الأمل للآخرين..
فالألم رفيقنا الوفي في هذه الحياة.. لأنه يذكرنا دوما أننا ضعفاء..
و أن بعد الألم يأتي الأمل.. ليكون كالبلسم.. يحيينا من جديد..
هيا أيها الغريب..
انتفض وحارب موت الحياة في قلبك..
فكل شيء سيمضي.. إلا الأثر..

الحب الذي نتركه وراءنا يتذكرنا..
الرحمة التي ننشرها في الأرض تتذكرنا..
الأمان الذي نعلمه للآخرين يتذكرنا كل يوم..
لهذا يا صديقي..
كن أنت الحب في قلوب الغرباء..
كن أنت الرحمة التي تحيط طيف التائهين.
كن أنت الأمان الذي يحيط جوانب المقهورين..
لا تنس أبدا قلبك وسط كل هذا.. لأن قلبك أعظم مما تظن..
قلبك هو الذي يحييك.. والحب في قلبك يعيد الحياة إليك في كل مرة..
في كل مرة تحس فيها بالانطفاء.. تذكر أن الحب يحيينا..
و أن كل شيء سيزول..
في كل مرة تجد فيها نفسك غريبا في الطرقات.. تذكر أن الغربة مصير..
و أن الأثر هو الذي يبقى إلى الأبد..
في كل مرة تشعر فيها بالوحدة.. قلب بين أروقة قلبك.. وتحسس حبك..
و أن نشرك للحب والأمان يغنيك عن كل شيء.
صديقي الغريب..
هل ينبض قلبك بكل حب؟.. هل ينبض باليقين؟
هل تداعب روحك الإيمان القوي؟
هيا صديقي..
لقد اقترينا من النهاية..
و لابد لك أن تبذل جهدا بالغا لتلقي كل أحمالك..
و إني أتمنى أن تكون قد تخلصت من بعضها..
أتمنى حقا أن أراك قد ألقيت بعضا من آلامك..

أتمنى حقا أن أراك قد وضعت تابوت الوجع الأبدي على حافة الطريق..

لكي تصبح سالما من كل أسى..

سالما من كل خراب..

معافى من كل جرح..

طيبا بكل حب وأمل.

هيا واصل حبك.. واصل الشغف.

الرحيل والوداع

عن الندبات التي تركها الراحلون..
عن الشوق إلى ظل أموات واريناهم التراب..
اللهم صبرا جميلا..
اللهم لقاء في الجنة.
شبح الموت يطاردنا وسط الممرات الفارغة للحياة..
نرى الطريق طويلا فيفاجئنا على حين غفلة.. لننسى كل الأمل..
نمشي كالعابر الذي يرى النهاية قريبة.. ويتمنى من الزمن أن يطول ولو قليلا لعله يعانق الذكريات لآخر مرة..
هذا الموت كشبح يمشي بجانبنا طوال المسير..
و نحن نمني النفس أن نبقى لنحيا قليلا.. ليبقى الأمل..
نتساءل في كل حين متى النهاية.. وكيف النهاية..
و حين ننسى أن نتساءل.. يحضر الموت كالسهم مخترقا قلوبنا..
و حين ننسى أن ننتظر الموت.. يأتينا بسرعة..
كأنه كان ينتظر طيشا منا.. ونسيان الأمل..
و حين نبقى هناك على سرير الوداع.. نلحظ الذكريات ونعانق أشباح الراحلين.. نقبل جبين الحاضرين وينتهي الألم..
و نرحل كأن لم نكن هنا أبدا.. كأننا عبارة عن ومضة من الزمن..
كقافية بيت شعري تاه بين مسارات التاريخ..
نرحل بسرعة وينتهي الأمل..
نرحل بسرعة ويبقى الأثر...
نرحل بسرعة ونصير كالسراب.

عن تلك الغصة القاسية التي تستوطن صدورنا..
عن ذلك الجرح المفاجئ الذي يؤلم قلوبنا..
عن الجرح الذي لا يكاد يلتئم حتى يتبعه جرح آخر..
و أحيانا نكون نحن الجرح نفسه في أفئدة الأقربين..
عن المحطة الأخيرة للحياة.. المحطة النهائية للطريق الطويل..
عن توقف القطار وانتهاء الرحلة الطويلة قصيرة الذكريات..
الرحلة المؤلمة بكل أفراحها.. المبهرة بكل آلامها..
عن تلك الدموع التي لا تريد أن تتوقف إيذانا بالرحيل.. إيذانا بالوداع.. بالبقاء وسط الفراغ..
عن الموت.. عن نهاية الطريق..
الموت الذي يتركنا تائهين.. الموت الذي ننتظره منذ البداية..
منذ الخطوة الأولى لنا على مسار الطريق الطويل..
نعلم جيدا أن هذه المحطة آتية لا محالة.. نعلم جيدا أن الأقربين سيرحلون..
أننا سنكون راحلين بدورنا.. عاجلا أم آجلا..
كنا نعلم منذ البداية أن الأمر محتوم..
عن الخبر الذي نجهز أنفسنا لتلقيه منذ البداية..
وحين يصل الأمر ويأتي الخبر..
ننسى كل شيء ونبكي..
تهطل الدموع كمطر غزير من أعيننا معلنة حدادا طويلا.. وربما قصيرا.. ولكن مؤلما..
خبر رحيل أحد الأقربين يأتيك على حين غفلة فيتركك مسمرا في مكانك..
تشاهد شريط الذكريات.. تشاهد اللحظات ولا تأذن بالرحيل..

تلك الصدمة التي نتلقاها فجأة..

و نحن الذين كنا نتوقعها منذ البداية.. منذ الخطوة الأولى..

عن ذلك السهم الذي يخترق صدورنا ونحن نراه قادما من بعيد منذ البداية..

منذ الخطوة الأولى..

عن الألم الذي لطالما تدربنا على طريقة تجاوزه.. وحين أتى..

توقف كل شيء.. توقف المدار.. توقفت الحياة بالنسبة لنا..

عن الموت..

عن الجرح الدائم..

عن قارب الرحيل الذي ينتظرنا جميعا..

يركبه الأحبة الواحد تلو الآخر..

نحن نرقبهم من بعيد وهم راحلون..

نرقب أمواج الموت تدفنهم في المحيط المظلم..

نراهم يرحلون الواحد تلو الآخر..

نرقبهم من بعيد على حافة الحياة.. نلحظ آثار الرحيل..

نعانق ذكريات الراحلين ونحضن رائحتهم إلى صدورنا..

نرقبهم من بعيد.. ونلحظ قاربنا في جانب المحيط يحمل اسمنا..

ينتظرنا.. ينتظر رحيلنا.. ننتظر رحيلنا..

نرقبهم من بعيد والحزن يعتصر قلوبنا.. والشوق يحيطنا شيئا فشيئا..

تلتهم نيران الشوق حقول ذكرياتنا..

نراهم يرحلون الواحد تلو الآخر..

و ندبة الغياب تتوسط جبيننا.. تتوسط قلوبنا..

و ندبة الغياب تعانق معزوفة نبضنا.. يتيه النبض.. يتيه عزفه السعيد..

و حين تاه النبض تألم القلب..

يرحل الأقربون واحدا تلو الآخر..

يرحل الأقربون ويأخذون منا في كل رحيل جزءا منا..

ترحل عنا أجزاءنا رويدا رويدا..

مع كل رحيل نترك خلفنا جزءا منا.. يحمله ريح الحياة ليغيب بين أدغالها..

مع كل رحيل نترك شيئا منا.. ونحس بكل الغياب يغمرنا..

مع كل وداع نضع بعضا من قلوبنا على حافة الطريق.. فنحضن شوقنا..

مع كل رحيل نودع قطعا من قلوبنا.. فنعانق كل الحنين..

و في كل رحيل جرح..

في كل رحيل ندبة تتوسط أرواحنا..

في كل رحيل ألم يستوطن أفئدتنا..

في كل رحيل غياب..

و في كل غياب شوق..

و في كل شوق حسرة..

و في كل حسرة ألم أبدي..

و يبقى الألم رفيقا وفيا لنا.

جلسة نهاية وبداية

أيها الغريب..

رحلتنا في هذا القارب قد وصلت إلى نهايتها..

ألا ترى أنه صار منهكا.. لقد وصلنا مرفأنا الساحلي.. على شاطئ الغربة..

أخبرني.. كيف صرت بعد رحلتنا.. هل ألقيت كل حملك الثقيل..

أم أنك لم تقدر أبدا.. هل خففت شيئا من ثقلك يا صديق..

أتمنى أن تكون قد فعلت..

لأن هذه الرحلة كانت لذلك السبب تحديدا..

و لابد لك أن تلقي كل أحمالك لكي تستطيع أن تمر معي إلى الرحلة المقبلة..

نحن الآن في المرفأ.. مرفأ الغرباء..

أمامنا قوارب عديدة.. مثل قاربنا هذا..

كل قارب يمشي في مساره الخاص.. كل قارب له رحلته الخاصة به..

هذه قواربنا معا يا صديقي الغريب..

هنا قوارب الغرباء..

سنركب في كل رحلة قاربا.. لنعيش رحلة.. بتفاصيل مختلفة وأحداث أخرى..

أتمنى أن تبقى بأمان إلى حين رحلتنا التالية..

أما بعد الآن.. فعليك أن تتنفس عميقا..

أن تجلس قليلا.. فتتأمل ما كنا فيه.. وما صرنا إليه..

و بعد ذلك.. بعد زمن ما.. سنبدأ رحلتنا مجددا..

و إلى ذلك الحين..

ابق بأمان أيها الغريب..

ابق بكل حبك صامدا..

ابق قويا أماما كل العواصف العاتية..

ابق وفيا للحب في قلبك..

كن أنت أنت أيها الغريب..

دمت بأمان.. ودمت لغربتك وفيا.

المحتويات

الكتابة تجمعنا
للنشر والتوزيع

الناشر:

الكتابة تجمعنا للنشر والتوزيع

رقم الهاتف:

01066476589

فيسبوك:

https://www.facebook.com/Wriiiter/

المدير العام:

حسن محمد حسن